٤- أخلاق النبي ﷺ ..

- علمه بالله تعالى وشدة خشيته ﷺ
- عبادته ﷺ
- محبته للفأل ﷺ
- أخلاقه ﷺ
- قبوله الهدية وإثابته عليها ﷺ
- وفاؤه بالعهد ﷺ
- حفظه للجميل ﷺ
- حياؤه ﷺ
- رحمته ﷺ
- عفوه وحلمه ﷺ
- تواضعه ﷺ
- عدله ﷺ
- قربه من الناس ، وقضاء حوائجهم ﷺ
- صبره ﷺ
- شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم
- مشورته لأصحابه ﷺ
- لا يواجه أحدا بما يكره ﷺ
- مزاحه ﷺ
- كرمه وكثرة عطائه وجوده ﷺ
- زهده وإعراضه عن الدنيا ﷺ
- شجاعته ﷺ

obeikandl.com

عِلْمُهُ ﷺ بالله تَعَالَى وَشِدَّةُ خَشْيَتِهِ

إن خشية الله في السر والعلن ثمرة العلم الصحيح بالله وبأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وبمحابه ومكارهه من الأقوال والأعمال؛ ولذا كان العلماء أشد الناس خشية من الله ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر: ٢٨].

ومُعلم العلماء هو نبينا محمد ﷺ أعلم الناس بالله وأخشاهم له؛ فلا أحد أتقى ولا أعلم بالله ولا أخشى من رسول الله في كل شيء، وما سأذكره من الأحاديث يدل على ذلك.

❁ فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: صَنَعَ رَسُولُ الله ﷺ أَمْرًا، فَتَرَخَّصَ فِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ فَكَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَوَالله لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِالله، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»(١).

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: رَخَّصَ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَمْرٍ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ، فَوَالله لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِالله، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»(٢).

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ

---

(١) البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

(٢) مسلم (٢٣٥٦/١٢٨).

مِن النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَالله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

❑ ومن خصائصه أنه ﷺكان لا يأكل الصدقة؛ فهى محرمة عليه ومن شدة خوفه واتقاءه الشبهات كان يرى التمرة على فراشه فلا يأكلها خوفًا أن تكون من تمر الصدقة.

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ وَجَدَ تَمْرَةً فَقَالَ: «لَوْلاَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا»(٢).

«لَوْلاَ..»: أي: لولا أني أخاف أن تكون ساقطة من الصدقات وهي محرمة عليَّ، لأكلتها ولمَا تركتها.

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَرْفَعُهَا لآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا»(٣).

❑ غفر الله تعالى لنبيا محمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك فقد كان يستغفر ربه في اليوم مائة مرة أو أكثر.

❁ عَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ ﷺ- وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(٤).

---

(١) البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) البخاري (٢٠٥٥)، ومسلم (١٠٧١).

(٣) البخاري (٢٤٣٢)، ومسلم (١٠٧٠).

(٤) مسلم (٢٧٠٢).

«لَيُغَانُ»: قال أهل اللغة: الغين والغيم بمعنى واحد، والمراد هنا: ما يتغشى القلب. قال القاضي: قيل: المراد: الفترات، والغفلات عن الذكر؛ الذي شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه، أو غفل عد ذلك ذنبًا واستغفر منه.

❁ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «وَالله إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»(١).

❑ ولشدة خشيته كان يسمع لصدرة كصوت الغليان في الصلاة.

❁ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ الشِّخِّير قَالَ: «أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ»(٢).

«كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ»: أي: كصوت غليان القِدْر، وهو صوت البكاء.

عبادته ﷺ

كان النبي من أعبد الناس، وأقرب الناس إلى ربه؛ فكان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، وكان يصوم حتى يقال: إنه لايفطر، ولم يكن أحد يطيق ما كان يطيقه ﷺ فقد كان يقوم الليل على سبيل الوجوب؛ لقوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]. بخلاف أفراد أمته، فقيام الليل ليس واجبًا على أحد منهم، وإنما يقومونه تطوعًا.

---

(١) البخاري (٦٣٠٧).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٢٣).

❁ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ، قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ!! قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»(١).

وله أيضًا: «حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ».

«انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ»: أي: تَوَرَّمَتْ.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»(٢).

«تَفَطَّر»: أي تشقق.

❁ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَى حَاجَتَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقِرْبَةَ، فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ وُضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ، وَقَدْ أَبْلَغَ، فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَرْقُبُهُ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلاَتُهُ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَآذَنَهُ بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا»(٣).

---

(١) البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩).

(٢) مسلم (٢٨٢٠).

(٣) البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣).

❁ وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَثْبَتَهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ مَرِضَ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً. قَالَتْ: وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ، وَمَا صَامَ شَهْرًا مُتَتَابِعًا إِلاَّ رَمَضَانَ»(١).

❁ وعَن الأَسْوَدِ قال: سَأَلْتُ عَائِشَة عَنْ صَلاَةِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَتْ: «كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيُحْيِي آخِرَهُ، ثُمَّ إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى أَهْلِهِ قَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ يَنَامُ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ النِّدَاءِ الأَوَّلِ قَالَتْ: وَثَبَ - وَلاَ وَالله مَا قَالَتْ: قَامَ - فَأَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ - وَلاَ وَالله مَا قَالَتِ: اغْتَسَلَ. - وَأَنَا أَعْلَمُ مَا تُرِيدُ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جُنُبًا تَوَضَّأَ وُضُوءَ الرَّجُلِ لِلصَّلاَةِ ثُمَّ صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ»(٢).

❁ وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لأَرْمُقَنَّ صَلاَةَ رَسُولِ الله ﷺ اللَّيْلَةَ. فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ أَوْتَرَ، فَذَلِكَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً(٣).

«رَمَقَ»: نظر وتأمل وراقب.

❁ وعَنْ حَفْصَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ صَلَّى فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعَامٍ، فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا، وَكَانَ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا(٤).

---

(١) مسلم (٧٤٦/ ١٤١).

(٢) البخاري (١١٤٦)، ومسلم (٧٣٩) واللفظ له.

(٣) مسلم (٧٦٥).

(٤) مسلم (٧٣٣).

«السُّبْحَة»: صلاة التطوع.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَمُتْ حَتَّى كَانَ كَثِيرٌ مِنْ صَلاَتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ[١].

❁ وعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ: كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ الله ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ فَقَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي»[٢].

«إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَام قَلْبِي»: هَذَا مِنْ خَصَائِص الْأَنْبِيَاء صَلَوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِمْ.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي جَالِسًا فَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ، فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَدْرُ مَا يَكُونُ ثَلاَثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً قَامَ فَقَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ يَفْعَلُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ[٣].

❁ وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتْ صَلاَةُ النَّبِيِّ ﷺ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً - يَعْنِي بِاللَّيْلِ -[٤].

---

(١) مسلم (٧٣٢).

(٢) البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

(٣) البخاري (١١٤٨)، ومسلم (٧٣١).

(٤) البخاري (١١٣٨)، ومسلم (٧٦٤).

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً»(١).

❁ وعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ. قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ(٢).

«هَمَمْتَ»: عزمت وقصدت.

«بِأَمْرِ سَوْءٍ»: مخالف للأدب، أي: غير لائق أن يفعل.

«أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ»: أتركه قائمًا، وأصلي معه قاعدًا.

قال النووي رحمه الله: فيه: أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار، وألا يخالفوا بفعل ولا قول ما لم يكن حراما، واتفق العلماء على أنه إذا شق على المقتدي في فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود، وإنما لم يقعد ابن مسعود للتأدب مع النبي ﷺ، وفيه: جواز الاقتداء في غير المكتوبات، وفيه: استحباب تطويل صلاة الليل(٣).

❁ وعنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، وَبَعْدَ الْعِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ(٤).

«يَنْصَرِفَ»: أي: يذهب إلى البيت، ولا يصلي شيئًا بعد الفريضة في المسجد.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ(٥).

---

(١) البخاري (١١٧٠)، ومسلم (٧٣٧).

(٢) البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣).

(٣) «شرح مسلم» (٦/ ٦٣).

(٤) البخاري (٩٣٧)، ومسلم (٧٢٩) بنحوه.

(٥) البخاري (١١٨٢)، ومسلم (٧٣٠).

❁ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ تَطَوُّعِهِ. فَقَالَتْ: كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ فِيهِنَّ الْوِتْرُ، وَكَانَ يُصَلِّي لَيْلاً طَوِيلاً قَائِمًا، وَلَيْلاً طَوِيلاً قَاعِدًا، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِذَا قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ[1].

❁ وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ». فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى». فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. قَالَ: وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ فَقَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»[2].

«فَقُلْتُ»: أي: في نفسي، يعني: ظننت أنه يركع عند مائة آية.

«فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ»: معناه: ظننت أنه يسلم بها فيقسمها ركعتين، وأراد بالركعة الصلاة بكمالها وهي ركعتان، ولا بد من هذا التأويل لينتظم الكلام بعده، وعلى هذا فقوله: «ثُمَّ مَضَى»: معناه: قرأ معظمها بحيث غلب

(١) مسلم (٧٣٠).

(٢) مسلم (٧٧٢).

على ظني أنه لا يركع الركعة الأولى إلا في آخر البقرة فحينئذٍ قلت: يركع الركعة الأولى بها فجاوز وافتتح النساء.

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُفْطِرُ مِن الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِن اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ[1].

❁ وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - وَهِيَ خَالَتُهُ - قَالَ: فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا فَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله ﷺ فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ، فَصَلَّى.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى جَاءَ الْمُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ[2].

«عَرْضِ الْوِسَادَةِ»: وهو الجانب، والمراد: الوسادة المعروفة التي تكون تحت الرؤوس.

«يَمْسَحُ النَّوْمَ»: أي أثر النوم.

---

(١) البخاري (١١٤١) .

(٢) البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣/ ١٨٢).

«الشَّنُّ»: القربة البالية.

«يَفْتِلُ»: يدلك.

❁ وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِسَعْدِ بْنِ هِشَامٍ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ. فَأْتِهَا، فَاسْأَلْهَا ثُمَّ ائْتِنِى، فَأَخْبِرْنِى بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا، فَأَتَيْتُ عَلَى حَكِيمِ بْنِ أَفْلَحَ، فَاسْتَلْحَقْتُهُ إِلَيْهَا فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِبِهَا لأَنِّي نَهَيْتُهَا أَنْ تَقُولَ فِى هَاتَيْنِ الشِّيعَتَيْنِ شَيْئًا، فَأَبَتْ فِيهِمَا إِلاَّ مُضِيًّا.

قَالَ: فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى عَائِشَةَ، فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهَا، فَأَذِنَتْ لَنَا، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا. فَقَالَتْ: أَحَكِيمٌ؟ فَعَرَفَتْهُ. فَقَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَتْ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ. قَالَتْ: مَنْ هِشَامٌ؟ قَالَ: ابْنُ عَامِرٍ. فَتَرَحَّمَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ خَيْرًا. - قَالَ قَتَادَةُ: وَكَانَ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ-. فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ الله ﷺ.

قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ الله ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ[1].

قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، وَلاَ أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ، ثُمَّ بَدَا لِى. فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِى عَنْ قِيَامِ رَسُولِ الله ﷺ. فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ الله ﷻ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِى أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ الله خَاتِمَتَهَا[2] اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِى السَّمَاءِ

---

(١) «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ الله ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»: معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله، وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته.

(٢) «وَأَمْسَكَ الله خَاتِمَتَهَا»: تعني: أنها متأخرة النزول عما قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: ٢٠].

حَتَّى أَنْزَلَ الله فِى آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْبِئِينِي عَنْ وِتْرِ رَسُولِ الله ﷺ. فَقَالَتْ: كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ الله[١] مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ لاَ يَجْلِسُ فِيهَا إِلاَّ فِى الثَّامِنَةِ، فَيَذْكُرُ الله، وَيَحْمَدُهُ، وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلاَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي التَّاسِعَةَ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ الله وَيَحْمَدُهُ، وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ، وَهُوَ قَاعِدٌ فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ، فَلَمَّا أَسَنَّ[٢] نَبِيُّ الله ﷺ، وَأَخَذَ اللَّحْمَ[٣] أَوْتَرَ بِسَبْعٍ، وَصَنَعَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الأَوَّلِ، فَتِلْكَ تِسْعٌ يَا بُنَيَّ. وَكَانَ نَبِيُّ الله ﷺ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَحَبَّ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَلاَ أَعْلَمُ نَبِيَّ الله ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِى لَيْلَةٍ، وَلاَ صَلَّى لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ، وَلاَ صَامَ شَهْرًا كَامِلاً غَيْرَ رَمَضَانَ.

قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِهَا فَقَالَ: صَدَقَتْ، لَوْ كُنْتُ أَقْرَبُهَا أَوْ أَدْخُلُ عَلَيْهَا لأَتَيْتُهَا حَتَّى تُشَافِهَنِي بِهِ!! قَالَ: قُلْتُ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لاَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا مَا حَدَّثْتُكَ حَدِيثَهَا[٤].

❁ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللهمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ،

---

(١) «فَيَبْعَثُهُ الله»: أي: يوقظه؛ لأن النوم أخو الموت.

(٢) «أَسَنَّ» كَبِر.

(٣) «وَأَخَذَ اللَّحْمَ»: معناه: كثر لحمه.

(٤) مسلم (٧٤٦).

أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ(١)، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ(٢)، وَبِكَ خَاصَمْتُ(٣)، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ(٤)، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ، وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»(٥).

«أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ»: قال العلماء: معناه: منورهما، وقال أبو عبيد: معناه بنورك يهتدي أهل السموات والأرض. قال الخطابي في تفسير اسمه سبحانه وتعالى «النور»: «ومعناه: الذي بنوره يُبصِر ذو العماية، وبهدايته يَرشُد ذو الغواية. قال: ومنه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]. أي: منه نورهما. قال: ويحتمل أن يكون معناه: ذو النور، ولا يصح أن يكون النور صفة ذات الله تعالى، وإنما هو صفة فعل، أي: هو خالقه». وقال غيره: «معنى

---

(١) «اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ»: أي: استسلمت، وانقدت لأمرك ونهيك «وبك آمنت» أي: صدقت بك، وبكل ما أخبرت، وأمرت ونهيت.

(٢) «وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ»: أي: أطعت ورجعت إلى عبادتك، أي: أقبلت عليها. وقيل: معناه: رجعت إليك في تدبيري، أي: فوضت إليك.

(٣) «وَبِكَ خَاصَمْتُ»: أي: ما أعطيتني من البراهين والقوة خاصمت من عاند فيك، وكفر بك، وقمعته بالحجة وبالسيف.

(٤) «وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ»: وإليك حاكمت، أي: كل مَن جحد الحق حاكمته إليك، وجعلتك الحاكم بيني وبينه لا غيرك مما كانت تحاكم إليه الجاهلية وغيرهم من صنم وكاهن ونار وشيطان وغيرها، فلا أرضى إلا بحكمك، ولا أعتمد غيره.

(٥) البخاري (٧٤٩٩)، ومسلم (٧٦٩).

نور السموات والأرض: مدير شمسها وقمرها ونجومها».

«أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ»: وفي الرواية الثانية: «قَيِّم» قال العلماء: من صفاته القَيَّام والقَيِّم كما صرح به هذا الحديث، والقيوم بنص القرآن وقائم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]. القيوم: الذي لا يزول، ويقال: هو القائم على كل شيء، ومعناه: مدبر أَمْر خلقه، قائم بنفسه.

«أَنْتَ الْحَقُّ»: قال العلماء: الحق في أسمائه سبحانه وتعالى معناه: المتحقق وجوده وكل شيء صح وجوده وتحقق فهو حق، ومنه الحاقة أي: الكائنة حقًّا بغير شك، ومنه قوله ﷺ في هذا الحديث: «وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ» أي كله متحقق لا شك فيه، وقيل: معناه: خبرك حق وصدق. وقيل: أنت صاحب الحق. وقيل: مُحِقُّ الحق. وقيل: الإله الحق دون ما يقوله الملحدون كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]. وقيل في قوله: «وَوَعْدُكَ الْحَقُّ» أي: صدق، ومعنى «وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ»: أي البعث.

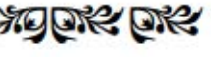

بكاء رسول الله ﷺ

❁ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ: «اقْرَأْ عَلَيَّ». قَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي». قَالَ: فَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ النِّسَاءِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] فَبَكَى[(١)].

وللبخاري: قَالَ لِي: «كُفَّ» أَوْ «أَمْسِكْ» فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ.

«فَكَيْفَ»: يكون الأمر والحال يوم القيامة.

«إِذَا جِئْنَا»: حين نأتي ونستدعي.

«مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ»: بنبيها الذي بُعث إليها.

«بِكَ»: يا محمد ﷺ.

«هَٰؤُلَاءِ»: المكذبين من قومك، والمنكرين لرسالتك، وقيل: أمتك.

«شَهِيدًا»: تشهد أنك قد بلغتهم، وبينت لهم الحق.

«تَذْرِفَانِ»: تدمعان، وبكاؤه ﷺ إشفاقًا على المقصرين من أمته لما تضمنته الآية من هول الموقف، وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم.

❁ وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ[(٢)] يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لله مَا

---

(١) البخاري (٥٠٥٥)، ومسلم (٨٠٠).

(٢) «إِحْدَى بَنَاتِهِ»: هي زينب رضي الله عنها.

أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى[١]، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى[٢]. فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ[٣]» فَأَعَادَت الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ، وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ الله مَا هَذَا؟! قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا الله فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ الله مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»[٤].

«تَقَعْقَعُ»: تتحرك وتضطرب، ويُسمع لها صوت.

«الشَّنُّ»: السقاء البالي. «فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»: نزل الدمع من عيني النبي ﷺ.

«مَا هَذَا؟»: استفهام تعجبي لما يُعلم من صبره ﷺ ونهيه عن البكاء.

«هَذِهِ رَحْمَةٌ»: هذه الدمعة أثر رحمة وليست من الجزع وقلة الصبر.

❁ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَى رَسُولُ الله ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ فَقَالَ: «أَقَدْ قَضَى؟». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ الله. فَبَكَى رَسُولُ الله ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ الله ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ: «أَلاَ تَسْمَعُونَ؟! إِنَّ الله لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ»[٥].

«شَكْوَى لَهُ»: الشكوى هنا المرض، يعني: مرض سعد بن عبادة مرضًا

---

(١) «لله مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى»: له الخلق كله، يتصرف به إيجادًا وعدمًا.

(٢) «بِأَجَلٍ مُسَمًّى»: مقدر بوقت معلوم محدد.

(٣) «وَلْتَحْتَسِبْ»: تطلب بصبرها الأجر والثواب من الله تعالى؛ ليحسبه لها من أعمالها الصالحة.

(٤) البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).

(٥) البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤).

حاصلًا له.

«غَشِيَّةٍ»: فيه قولان: أحدهما: من يغشاه من أهله، والثاني: ما يغشاه من كرب الموت.

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ الله ﷺ. قَالَ: وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ. قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ. قَالَ: فَقَالَ: «هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا. قَالَ: «فَانْزِلْ» قَالَ: فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا[1].

«شَهِدْنَا بِنْتًا»: هي أم كلثوم زوج عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

«لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ»: لم يفعل ذنبًا كبيرًا ولا صغيرًا، وقيل: معناه: لم يجامع.

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ» ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى. فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[2].

«ظِئْرًا»: زوج مرضعته، وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجارية.

«تَذْرِفَانِ»: يجري دمعهما.

«وَأَنْتَ»: تفعل كما يفعل الناس عند المصائب ؟!.

«بِأُخْرَى»: أتبع الدمعة بأخرى أو الكلمة التي قالها بأخرى.

---

(١) البخاري (١٢٨٥).

(٢) البخاري (١٣٠٣).

❁ وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ. فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِمْ(١).

❁ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: «أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ»(٢).

«كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ»: أي كصوت غليان القدر، وهو صوت البكاء.

صلاة الضحى

❁ وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُصَلِّي سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ، وَإِنِّي لأُسَبِّحُهَا، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ(٣).

«السُّبْحَة»: صلاة التطوع.

❁ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى؟ قَالَتْ: لاَ، إِلَّا أَنْ يَجِيءَ مِنْ مَغِيبِهِ(٤).

---

(١) البخاري (٤٢٦٢).

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٢٣) بتحقيقي.

(٣) البخاري (١١٢٨)، ومسلم (٧١٨)، وروي عن معاذة أنها سألت عائشة رضي الله عنها: كَمْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي صَلاَةَ الضُّحَى؟ قَالَتْ: أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ. كما عند مسلم (٧١٩)، وهذه الرواية مخالفة لرواية الصحيحين وغيرهما، وقد أعلها العلماء قال ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (١/ ٤٩٤): أنكره أحمد والأثرم وابن عبد البر وغيرهم، ورددوه بأن الصحيح عن عائشة قالت: «ما سبّح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط».

(٤) مسلم (٧١٧).

❁ وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ: مَا أَخْبَرَنِي أَحَدٌ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّى الضُّحَى إِلاَّ أُمُّ هَانِئٍ فَإِنَّهَا حَدَّثَتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ بَيْتَهَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى صَلاَةً قَطُّ أَخَفَّ مِنْهَا، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ[1].

قال النووي رحمه الله: «وحاصلها: أن الضحى سنة مؤكدة وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وبينهما أربع أو ست، كلاهما أكمل من ركعتين ودون ثمان. وأما الجمع بين حديثي عائشة في نفي صلاته ﷺ الضحى وإثباتها فهو: أن النبي ﷺ كان يصليها بعض الأوقات لفضلها، ويتركها في بعضها خشية أن تفرض كما ذكرته عائشة، ويتأول قولها: «ما كَانَ يُصَلِّيهَا إِلَّا أَنْ يَجِيء مِنْ مَغِيبه» على أن معناه: ما رأيته، كما قالت في الرواية الثانية: ما رَأَيْت رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي سُبْحَة الضُّحَى. وسببه أن النبي ﷺ ما كان يكون عند عائشة في وقت الضحى إلا في نادر من الأوقات، فإنه قد يكون في ذلك مسافرًا، وقد يكون حاضرًا، ولكنه في المسجد أو في موضع آخر، وإذا كان عند نسائه فإنما كان لها يوم من تسعة، فيصح قولها: ما رأيته يصليها، وتكون قد علمت بخبره أو خبر غيره أنه صلاها، أو يقال: قولها: ما كان يصليها أي ما يداوم عليها، فيكون نفيًا للمداومة لا لأصلها» والله أعلم[2].

❁ وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاَثٍ؛ بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ[3].

---

(١) البخاري (١١٠٣)، ومسلم (٣٣٦/ ٨٠).

(٢) «شرح مسلم» (٥/ ٢٢٩).

(٣) البخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١).

تطوعه ﷺ في البيت

❁ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ فِي بَيْتِه، وَعَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ قَالَ: «قَدْ تَرَى مَا أَقْرَبَ بَيْتِي مِنَ الْمَسْجِدِ، وَلَأَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً»(١).

❁ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، وَبَعْدَ الْعِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ(٢).

«يَنْصَرِفَ»: أي يذهب إلى البيت، ولا يصلي شيئًا بعد الجمعة في المسجد.

❁ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ الظُّهْرِ سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَهَا سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْعِشَاءِ سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْجُمُعَةِ سَجْدَتَيْنِ، فَأَمَّا الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ وَالْجُمُعَةُ فَصَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ(٣).

❁ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ تَطَوُّعِهِ فَقَالَتْ: كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ فِيهِنَّ الْوِتْرُ، وَكَانَ يُصَلِّي لَيْلًا طَوِيلًا قَائِمًا، وَلَيْلًا طَوِيلًا قَاعِدًا، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِذَا قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٢٩٨).

(٢) البخاري (٩٣٧)، ومسلم (٧٢٩) بنحوه.

(٣) مسلم (٧٣٠).

قَاعِدٌ، وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ[١].

❁ وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً - قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: - مِنْ حَصِيرٍ فِي رَمَضَانَ فَصَلَّى فِيهَا لَيَالِيَ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»[٢].

❁ وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ، فَإِنَّ الله جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا»[٣].

ذكر ما كان يصلي عليه ﷺ

صلى ﷺ على الأرض مباشرةً، وعلى الحصير، وعلى السجاد، والثوب.

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ حَصِيرٌ، وَكَانَ يُحَجِّرُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي فِيهِ[٤].

«يُحَجِّرُهُ»: أي يتخذه حجرة.

❁ وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي الْمَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ فِيهَا لَيَالِيَ حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ[٥].

---

(١) مسلم (٧٣٠).

(٢) البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١).

(٣) مسلم (٧٧٨).

(٤) البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢).

(٥) البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١).

❁ وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «نَاوِلِينِي الْخُمْرَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ». قَالَتْ: فَقُلْتُ: إِنِّي حَائِضٌ. فَقَالَ: «إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ»[١].

«الْخُمْرَةَ»: قال الهروي وغيره: هذه هي السجادة، وهي ما يضع عليه الرجل جزء وجهه في سجوده من حصير أو نسيجة من خوص. وقال الخطابي: هي السجادة يسجد عليها المصلي، وسميت خمرة؛ لأنها تخمر الوجه أي: تغطيه، وأصل التخمير: التغطية، ومنه خمار المرأة، والخَمْر لأنها تغطي العقل، أو سُميت بذلك لأنها تستر الوجه والكفين من حر الأرض وبردها.

❁ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي مَيْمُونَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي وَأَنَا حِذَاءَهُ، وَرُبَّمَا أَصَابَنِي ثَوْبُهُ إِذَا سَجَدَ، وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى خُمْرَةٍ[٢].

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ الله ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ: «قُومُوا فَأُصَلِّيَ لَكُمْ». قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، وَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ[٣].

«مَا لُبِسَ»: إنَّ لُبْس كل شيء بحسبه، واللبس هنا معناه: الافتراش.

«وَالْيَتِيمُ»: اليتيم اسمه ضمير بن سعد الحِمْيري.

«وَالْعَجُوزُ»: هي أم أنس، أم سليم.

---

(١) مسلم (٢٩٨).

(٢) البخاري (٣٧٩)، ومسلم (٥١٣).

(٣) البخاري (٨٦٠)، ومسلم (٦٥٨).

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ نَاوِلِينِي الثَّوْبَ». فَقَالَتْ: إِنِّي حَائِضٌ. فَقَالَ: «إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ» فَنَاوَلَتْهُ[1].

(١) مسلم (٢٩٩).

obeikandl.com

صومه ﷺ

كان نبينا من أكثر الناس صيامًا إذ كان باستطاعته مواصلة الصوم، فيصوم يومين متتاليين، لا يفطر إلا في نهاية اليوم الثاني، ولم يؤذن لأحد من أمته في ذلك.

❁ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لاَ يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلاَّ رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ(١).

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ فِي الشَّهْرِ مِنَ السَّنَةِ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ، وَكَانَ يَقُولُ: «خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ الله لَنْ يَمَلَّ حَتَّى تَمَلُّوا». وَكَانَ يَقُولُ: «أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى الله مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ»(٢).

❁ وعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ الله ﷺ؟ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الأَيَّامِ ؟ قَالَتْ: لاَ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْتَطِيعُ ؟! (٣).

«دِيمَةً»: أي يدوم عليه، ولا يقطعه.

---

(١) البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦).

(٢) البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢/ ١٧٧).

(٣) البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٧٨٣).

❁ وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ صَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ إِلَّا شَعْبَانَ ورَمَضَانَ(١).

وهذا محمول على أكثر الشهر.

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ». قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ الله؟! قَالَ: «إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَاكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ»(٢).

«إِيَّاكُمْ»: أحذركم.

«فَاكْلَفُوا»: تكلَّفوا.

«مَا تُطِيقُونَ»: ما تَقْدرون عليه دون مشقة.

❁ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ: قَدْ صَامَ قَدْ صَامَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى يُقَالَ: قَدْ أَفْطَرَ قَدْ أَفْطَرَ(٣).

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُفْطِرُ مِنْ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِن اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ(٤).

«لَا تَشَاءُ»: لا تحب ولا ترغب أي أنه لم يوقت لقيامه وقتًا معينًا بل يقوم في أية ساعة توافق انتباهه من النوم.

❁ وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٠٢) بتحقيقي.

(٢) البخاري (١٩٦٦)، ومسلم (١١٠٤/٥٨).

(٣) البخاري (١٩٧٢)، ومسلم (١١٥٨).

(٤) البخاري (١١٤١).

حَارٌّ، حَتَّى يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَابْنِ رَوَاحَةَ[١].

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصُومُ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُهُ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ شَهْرُ رَمَضَانَ قَالَ: «مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ»[٢].

❁ وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَحَرَّى صَوْمَ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ[٣].

❁ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟». فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى الله فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا فَنَحْنُ نَصُومُهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ». فَصَامَهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ[٤].

❁ وعَنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُ الأَيَّامَ يَسْرُدُ حَتَّى يُقَالَ: لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ الأَيَّامَ حَتَّى يُقَالَ: لاَ يَكَادُ يَصُومُ، وَلَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا يَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ تَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لاَ تُفْطِرُ حَتَّى لاَ تَكَادَ تَصُومُ. قُلْتُ: وَتَصُومُ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ؟! قَالَ: «إِنَّهُمَا يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي

---

(١) البخاري (٢٠٠٢)، ومسلم (١١٢٥).

(٢) البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢).

(٣) **إسناده صحيح** : أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٠٥) بتحقيقي.

(٤) البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠).

وَأَنَا صَائِمٌ، وَأَصُومُ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ- أَوْ: مِنْ شَعْبَانَ- فَإِنَّ ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ»[١].

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاَثٍ؛ بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ[٢].

قراءة رسول الله ﷺ

❁ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ قِرَاءَةُ رَسُولِ الله ﷺ بِاللَّيْلِ قَدْرَ مَا يَسْمَعُهُ مَنْ فِي الْحُجْرَةِ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ[٣].

❁ وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيَّ يَقُولُ: قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فِي مَسِيرٍ لَهُ سُورَةَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ. قَالَ مُعَاوِيَةُ: لَوْلاَ أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيَّ النَّاسُ لَحَكَيْتُ لَكُمْ قِرَاءَتَهُ[٤].

«فَرَجَّعَ»: من الترجيع، وهو ترديد الصوت.

❁ سُئِلَ أَنَسٌ: كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: كَانَتْ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١] يَمُدُّ بِـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ وَيَمُدُّ بِـ ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ وَيَمُدُّ بِـ ﴿الرَّحِيمِ﴾[٥].

---

(١) **إسناده حسن** : أخرجه أحمد (٥/ ٢٠١، ٢٠٦)، والنسائي (٢٣٥٧) وغيرهما من طرق عن ثابت بن قيس أبو الغصن، قال: حدثني أبو سعيد المقبري قال: حدثني أسامة بن زيد به.

(٢) البخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١).

(٣) **إسناده حسن لغيره** : أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٢٢).

(٤) البخاري (٤٢٨١)، ومسلم (٧٩٤).

(٥) البخاري (٥٠٤٦).

«كَانَتْ مَدًّا»: أي: يقرأ بتؤدة ويُخرج الحروف من مخارجها، ويمد ما يستحق المد منها.

❁ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ يُسِرُّ أَوْ يَجْهَرُ؟ قَالَتْ: كُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ، رُبَّمَا أَسَرَّ وَرُبَّمَا جَهَرَ. قَالَ: قُلْتُ: الْحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً[١].

❁ وعَنْ أُمِّ هَانِئٍ قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي[٢].

«وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي»: هو ما يستظل به كعريش الكرم، والمراد أنها كانت على سقف بيتها، وكان سقف بيتها على تلك الهيئة.

ما كان يتعوذ منه ﷺ

❁ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ الله ﷺ «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»[٣].

«وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ»: هي البغتة.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣١٨).

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣١٩).

(٣) مسلم (٢٧٣٩).

الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ. اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ». فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِن المَغْرَمِ! فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»(١).

«فِتْنَة»: هي المحنة والابتلاء.

«المَسِيحِ الدَّجَّالِ»: الكذاب، من الدجل، وهو الخلط والكذب، وسمي المسيح: لأن إحدى عينيه ممسوحة.

«المَأْثَم»: ما يسبب الإثم الذي يجر إلى الذم والعقوبة.

«وَالمَغْرَمِ»: الدَّين الذي لا يجد وفاءه أو الدَّين مطلقًا.

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ.

قَالَ سُفْيَانُ: الْحَدِيثُ ثَلَاثٌ، زِدْتُ أَنَا وَاحِدَةً، لَا أَدْرِي أَيَّتُهُنَّ هِيَ(٢).

«جَهْدِ الْبَلَاءِ»: المشقة من كل ما يصيب الإنسان فيما لا طاقة له بحمله، ولا يقدر على دفعه عن نفسه.

«دَرَكِ الشَّقَاءِ»: لحوق الشدة والعسر، ووصول أسباب الهلاك، ودرك الشقاء يكون في أمور الآخرة والدنيا، ومعناه: أعوذ بك أن يدركني شقاء.

«سُوءِ الْقَضَاءِ»: ما قضي به مما يسوء الإنسان، يدخل فيه سوء القضاء في الدين والدنيا والبدن والمال والأهل، وقد يكون ذلك في الخاتمة.

«شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»: أن يحزنوا لفرحي، ويفرحوا لحزني.

«ثَلَاثٌ»: أي: الحديث المروي فيه ثلاثة أشياء.

---

(١) البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٢) البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧)، ويبدو أنها سوء القضاء والله أعلم.

«وَاحِدَةً»: من هذه الأربع ثم اشتبهت عليه، فذكر الأربع تحقيقًا لرواية الثلاث قطعًا.

❁ وعَنْ هِلَالٍ، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَمَّا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُو بِهِ الله. قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»[1].

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».[2]

«الْعَجْزِ»: عدم القدرة على الخير، وقيل: هو تَرْك ما يجب فِعْلِه والتسويف به، وكلاهما تستحب الإستعاذة منه.

«الْكَسَلِ»: هو عدم انبعاث النفس للخير، وقلة الرغبة مع إمكانه. «وَالْجُبْنِ،...وَالْبُخْلِ»: أما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل فَلِمَا فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى، وإزالة المنكر، والإغلاظ على العصاة، ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم، والجهاد. وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال، وينبعث للإنفاق والجود، ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له.

هذا والأدعية المسجوعة دليل لما قاله العلماء: إن السجع المذموم في الدعاء هو المتكلف؛ فإنه يذهب الخشوع والخضوع والإخلاص، ويلهي عن الضراعة والافتقار، وفراغ القلب، فأما ما حصل بلا تكلف، ولا إعمال فكر لكمال

---

(١) مسلم (٢٧١٦).

(٢) البخاري (٦٣٦٧)، ومسلم (٢٧٠٦).

الفصاحة ونحو ذلك، أو كان محفوظًا فلا بأس به بل هو حَسَنٌ.

۞ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الْخُبُثِ وَالخَبَائِثِ»[1].

«الخَلَاءَ»: أصله المكان الخالي، والمراد موضع قضاء الحاجة كالمرحاض وغيره، سُمي بذلك لخلوه في غير أوقات قضاء الحاجة.

«الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ»: جمع خبيث وخبيثة، أي: ذكور الشياطين وإناثهم، وقيل: المراد كل شيء مكروه ومذموم.

۞ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَرْجِسَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ[2].

«وَعْثَاءِ»: شدة ومشقة.

«وَكَآبَةِ»: هي تَغَيُّر النفس من حزن ونحوه.

«الْمُنْقَلَبِ»: المرجع.

«وَالحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ»: هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية، ومعناه: الرجوع من شيء إلى شيء، وقيل: نعوذ بك من أن تَفْسد أمورنا بعد صلاحها.

«وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ»: أي: أعوذ بك من الظلم؛ فإنه يترتب عليه دعاء المظلوم، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، ففيه التحذير من الظلم، ومن التعرض لأسبابه.

---

(١) البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥٠).

(٢) مسلم (١٣٤٣).

❁ وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»(١).

«إِنَّ أَبَاكُمَا»: يُرِيد إِبْرَاهِيم عليه السلام وَسَمَّاهُ أَبًا لِكَوْنِهِ جَدًّا أَعْلَى.

«يُعَوِّذُ»: من التعويذ، وهو الالتجاء والاستجارة.

«التَّامَّةِ»: الكاملة في فضلها وبركتها ونَفْعها.

«هَامَّةٍ»: كل حشرة ذات سم، وقيل: كُلُّ مخلوق يهمُّ بسوء.

«لَامَّةٍ»: العين التي تصيب بسوء، وتجمع الشر على المعيون، وقيل: هي كل داء وآفة تُلم بالإنسان.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٢).

«الْفَلَقِ»: قيل: الخلق كله لأنه فلق عنه فظهر، وقيل: الصبح؛ لأن الظلام ينفلق عنه.

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: فَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَجَعَلْتُ أَطْلُبُهُ بِيَدِي، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى قَدَمَيْهِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(٣).

---

(١) البخاري (٣٣٧١).

(٢) البخاري (٥٠١٧)، ومسلم (٢١٩٢).

(٣) مسلم (٤٨٦).

«أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»: قال النووي: «قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى، وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى، استعاذ به منه لا غير، ومعناه: الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ»: أي: لا أطيقه، ولا آتي عليه، وقيل: لا أحيط به، وقال مالك رحمه الله: معناه لا أحصي نعمتك، وإحسانك، والثناء بها عليك، وإن اجتهدتُ في الثناء عليك. «أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»: اعتراف بالعجز عن تفضيل الثناء، وأنه لا يَقْدر على بلوغ حقيقته، ورد الثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصاء والتعيين، فوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه؛ لأن الثناء تابع للمثنى عليه، وكل ثناء أثني به عليه، وإن كثر وطال وبولغ فيه فَقَدْر الله أعظم مع أنه متعال عن القدر وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ»[1].

❁ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[2].

قوله: «لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ»: معناه: لك انقدت، وبك صدقت، وفيه

---

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٠٤).

(٢) البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

إشارة إلى الفرق بين الإيمان والإسلام.

«وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ»: أي: فوضت أمري إليك. «وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ»: أي: أقبلت بِهِمَّتي وطاعتي، وأعرضت عما سواك. «وَبِكَ خَاصَمْتُ»: أي: بك أحتج وأدافع وأقاتل.

❁ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لله، وَالْحَمْدُ لله، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ». قَالَ الْحَسَنُ: فَحَدَّثَنِي الزُّبَيْدُ أَنَّهُ حَفِظَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ»[1].

«الْكِبَرِ»: بمعنى الهرم والخرف، والرد إلى أرذل العمر.

وثمَّ تعوذات تعوذ منها النبي ﷺ ليقتدي به من يقتدي ويهتدي.

حاله ﷺ إذا نزل المطر

❁ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟!». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ

(١) مسلم (٢٧٢٣).

بِالْكَوْكَبِ»[١].

قوله: «السَّمَاءِ»: يقصد المطر.

«النَّوْءِ»: المنزلة من منازل القمر، وكانت العرب تنسب المطر إليها.

❁ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ. قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ الله. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا». قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢][٢].

❁ وعَنْ نَافِعٍ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَذَّنَ بِالصَّلَاةِ فِي لَيْلَةٍ ذَاتِ بَرْدٍ وَرِيحٍ فَقَالَ: أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ، ثُمَّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ ذَاتُ مَطَرٍ يَقُولُ: «أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ»[٣].

«الرِّحَالِ»: يعني الدُّور والمنازل والمساكن، وهي جمع رَحْل، يقال لمنزل الإنسان ومسكنه: رحله، وانتهينا إلى رحالنا، أي: منازلنا.

❁ وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سَفَرٍ فَمُطِرْنَا فَقَالَ: «لِيُصَلِّ مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فِي رَحْلِهِ»[٤].

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ[٥]، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ الله ﷺ قَائِمًا،

---

(١) البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٢) مسلم (٧٣).

(٣) البخاري (٦٦٦)، ومسلم (٦٩٧).

(٤) مسلم (٦٩٨).

(٥) «مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ»: أي: في جهتها، وهي دار كانت لعمر، وقال القاضي عياض: سُميت دار القضاء لأنها بيعت في قضاء دين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كتبه على

ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكَتِ الأَمْوَالُ(١)، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ(٢)، فَادْعُ الله يُغِثْنَا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللهمَّ أَغِثْنَا، اللهمَّ أَغِثْنَا، اللهمَّ أَغِثْنَا(٣)».

قَالَ أَنَسٌ: وَلاَ وَالله مَا نَرَى فِى السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةٍ(٤)، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ(٥) مِنْ بَيْتٍ، وَلاَ دَارٍ. قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ(٦)، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ. قَالَ: فَلاَ وَالله مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا(٧). قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ

نفسه، وأوصى ابنه عبدالله أن يباع فيه ماله، فإن عجز ماله استعان ببني عدي، ثم بقريش فباع ابنه داره هذه لمعاوية، وماله بالغابة، وقضى دَينه.

(١) « هَلَكَتِ الأَمْوَالُ»: المراد بالأموال هنا: المواشي خصوصًا الإبل، وهلاكها من قلة الأقوات بسبب عدم المطر والنبات.

(٢) «وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ»: أي: الطرق فلم تسلكها الإبل إما لخوف الهلاك أو الضعف بسبب قلة الكلأ أو عدمه.

(٣) «اللهمَّ أَغِثْنَا»: أي هَبْ لنا غيثًا أو ارزقنا غيثًا، كما يقال: سقاه الله وأسقاه، أي: جعل له سقيا، على لغة من فَرَّق بينهما.

(٤) «قَزَعَةٍ»: قطعة سحاب.

(٥) «سَلْعٍ»: هو جبل بقرب المدينة، أي: ليس بيننا وبينه من حائل مَنَعَنا من رؤية سبب المطر، فنحن مشاهدون له وللسماء. وقال الإمام النووى: ومراده بهذا الإخبار عن معجزة رسول الله ﷺ، وعظيم كرامته على ربه سبحانه وتعالى بإنزال المطر سبعة أيام متوالية متصلًا بسؤاله من غير تقديم سحاب ولا قزع، ولا سبب آخر، لا ظاهر ولا باطن.

(٦) «مِثْلُ التُّرْسِ»: الترس هو ما يُتَّقى به السيف، ووجه الشبه الاستدارة والكثافة لا القَدْر.

(٧) «سَبْتًا»: أي: قطعة من الزمان، وأصل السبت: القطع.

السُّبُلُ[١]، فَادْعُ الله يُمْسِكْهَا عَنَّا!! قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللهمَّ حَوْلَنَا، وَلاَ عَلَيْنَا، اللهمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ». فَانْقَلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ. قَالَ شَرِيكٌ: فَسَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي[٢].

«الآكَام»: قال في المصباح الأكمة: التل.

«وَالظِّرَابِ»: جمع الظرب وهو الجبل الصغير.

«فَانْقَلَعَتْ»: أي: فأمسكت السحابة الماطرة عن المدينة الطاهرة.

❁ وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مَطَرٌ. قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ الله ﷺ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى»[٣].

«فَحَسَرَ»: أي: كشف بعض بدنه.

«حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ» أي بتكوين ربه إياه، ومعناه أن المطر رحمة، وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ». قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ

---

(١) «هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ»: هلاك الأموال وانقطاع السبل هذه المرة من كثرة الأمطار لتعذُّر الرعي والسلوك.

(٢) البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

(٣) مسلم (٨٩٨).

ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]»[(١)].

«عَصَفَتِ الرِّيحُ»: أي اشتد هبوبها.

«تَخَيَّلَتِ»: سحابة فيها رعد وبرق يخيل إليه أنها ماطرة، ويقال: أخالت، إذا تغيمت.

«سُرِّيَ عَنْهُ»: أي انكشف عنه الهم والحزن.

«هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا»: أي سحاب عرض في أُفق السماء يأتينا بالمطر.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَرَى النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ! قَالَتْ: فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟! قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]»[(٢)].

«مُسْتَجْمِعًا»: المستجمع: المُجد في الشيء القاصد له. «لَهَوَاتِهِ»: اللهوات: جمع لهاة، وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أعلى الحنك.

❁ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُجَاوِرُ فِي الْعَشْرِ الَّتِي فِي وَسَطِ الشَّهْرِ، فَإِذَا كَانَ مِنْ حِينِ تَمْضِي عِشْرُونَ لَيْلَةً، وَيَسْتَقْبِلُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ يَرْجِعُ إِلَى مَسْكَنِهِ، وَرَجَعَ مَنْ كَانَ يُجَاوِرُ مَعَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ أَقَامَ فِي شَهْرٍ جَاوَرَ فِيهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ يَرْجِعُ فِيهَا، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَأَمَرَهُمْ بِمَا شَاءَ الله،

---

(١) البخاري (٣٢٠٦)، ومسلم (٨٩٩).

(٢) مسلم (٨٩٩/١٦).

ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي كُنْتُ أُجَاوِرُ هَذِهِ الْعَشْرَ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ أُجَاوِرَ هَذِهِ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَبِتْ فِي مُعْتَكَفِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَأُنْسِيتُهَا فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ فِي كُلِّ وِتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ»[(١)].

«يُجَاوِرُ»: أي يعتكف في المسجد.

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لاَ تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلاَ تُنْبِتُ الأَرْضُ شَيْئًا»[(٢)].

«لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لاَ تُمْطَرُوا»: المراد بالسَّنَة هنا: الجدب والقحط، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

ذكر محبته ﷺ للفأل

❁ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ، الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ»[(٣)].

«التَّطَيُّر»: التَّشَاؤُم، وَأَصْله الشَّيْء الْمَكْرُوه مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْل أَوْ مَرْئِيّ، وَكَانُوا يَتَطَيَّرُونَ بِالسَّوَانِحِ وَالْبَوَارِحِ[(٤)]، فَيُنَفِّرُونَ الظِّبَاء وَالطُّيُور، فَإِنْ أَخَذَتْ ذَات الْيَمِين تَبَرَّكُوا بِهِ، وَمَضَوْا فِي سَفَرهمْ وَحَوَائِجهمْ، وَإِنْ أَخَذَتْ ذَات الشِّمَال

(١) البخاري (٢٠١٨)، ومسلم (١١٦٧).

(٢) مسلم (٢٩٠٤).

(٣) البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٤) الظباء والطيور.

رَجَعُوا عَنْ سَفَرِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ، وَتَشَاءَمُوا بِهَا، فَكَانَتْ تَصُدُّهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ عَنْ مَصَالِحِهِمْ، فَنَفَى الشَّرْعُ ذَلِكَ وَأَبْطَلَهُ، وَنَهَى عَنْهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ تَأْثِيرٌ بِنَفْعٍ وَلَا ضُرٍّ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «لَا طِيَرَةَ».

قال الحليمي: وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال[(١)].

❁ وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ» قَالَ: وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»[(٢)].

قوله «وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ»: أي خير الطيرة – على زعمهم أن لها أثرًا – أن يتفاءل أي: يتوقع الخير في الأمور.

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ عَدْوَى، وَلاَ هَامَةَ، وَلاَ طِيَرَةَ، وَأُحِبُّ الْفَأْلَ الصَّالِحَ»[(٣)].

«هَامَةَ»: اسم طائر كانوا يتشاءمون به، وقيل: رُوح مَن لم يُدرك ثأره.

---

(١) انظر شرح النووي (١٤/ ٢١٨).

(٢) البخاري (٥٧٥٥)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٣) مسلم (٢٢٢٤).

أخلاقه ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

علا ﷺ بخلقه العظيم على جميع الخلق، وفاق الأولين والآخرين، وهذه شهادة من رب العالمين له بأنه على أعظم الأخلاق ، وأكملها ، وأتمها ، وأرفعها وأفضلها.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «وحاصل خلقه العظيم ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه فقالت : كان خلقه القرآن، وذلك نحو قوله تعالى له: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩].
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]. وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه ﷺ بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثَّات على الخلق العظيم، فكان له منها أكملها وأجلَّها، وهو في كل خصلة منها في الذروة العليا. فكان ﷺ سهلًا لينًا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا. وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم. وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا إلا أتم عِشْرَة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بِشْرَهُ، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ.

فلما أنزله الله بأعلى المنازل من جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون، قال: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ [القلم:٥،٦].

وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، وأن أعداءه أضل الناس، وشر الناس للناس، وأنهم هم الذين فتنوا عباد الله، وأضلوهم عن سبيله، وكفى بعلم الله بذلك، فإنه المحاسب المجازي، و﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم:٧]. وهذا فيه تهديد للضالين، ووَعْد للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية دون غيره»[(١)].

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ الله ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ[(٢)].

قال ابن كثير رحمه الله: «ومعنى هذا أنه عليه السلام صار امتثالُ القرآن أمرًا ونهيًا، سجية له، وخلقًا تَطَبَّعَه، وترك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمره القرآن فَعَله، ومهما نهاه عنه تَرَكه. هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخُلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل»[(٣)].اهـ.

فكان خلقه ﷺ القرآن أي: يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه، وهذا أيضًا أحسن ما يكون الناس عليه؛ لأنه لا شيء أحسن من آداب القرآن، ولا مما دعا الله الناس فيه إليه، فكان رسول الله ﷺ على ذلك غير خارج عنه إلى ما سواه.

❁ وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما حِينَ قَدِمَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْكُوفَةِ، فَذَكَرَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا. وَقَالَ: قَالَ

---

(١) «تفسير سورة القلم آية: ٤».

(٢) مسلم (٧٤٦) **قال القرطبي في «المفهم»**: «الأخلاق: أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل العفو والحلم والجود والصبر وتحمُّل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك».

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٠٢).

رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا»(١).

«فَاحِشًا»: أي: ذو فحش في الكلام أو الفعل أو الصفات .

«مُتَفَحِّشًا»: متكلفًا في الفحش، يعني أنه لم يكن الفحش فيه خلقًا أصليًّا ولا كسبيًّا، والفُحْش: هو الخروج عن الحد المألوف، والمراد به هنا: سوء الخُلق وبذاءة اللسان ونحو ذلك.

قال النووي رحمه الله: «فيه الحث على حسن الخلق، وبيان فضيلة صاحبه، وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه. قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق: بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه، قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبِشْر، والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وتَرْكِ الكِبْر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظ والغضب والمؤاخذة، قال: وحكى الطبري خلافًا للسلف في حسن الخلق هل هو غريزة أم مكتسب؟ قال القاضي: والصحيح أن منه ما هو غريزة ومنه ما يكتسب بالتخلق والاقتداء بغيره، والله أعلم».

❁ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَنْعَتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَانَ يُقْبِلُ جَمِيعًا، وَيُدْبِرُ جَمِيعًا، بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ»(٢).

«السَّخَب والصَّخَب»: الصِّياح واختلاط الأصوات.

---

(١) البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) **حسن لشواهده:** أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٨، ٤٤٨)، والطيالسي (٢٤١٣)، وابن سعد (١/ ٤١٤) من طريق ابن أبي ذئب، عن صالح مولى التوأمة، عنه به، وسماع ابن أبي ذئب من صالح مولى التوأمة قديم قبل اختلاطه، لكن تكلم في حديثه عنه، وانظر شواهده في هذا الباب.

❁ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ بِفَاحِشٍ، وَلاَ مُتَفَحِّشٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»(١).

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا وَلَا فَحَّاشًا وَلَا لَعَّانًا، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: «مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ؟!»(٢).

«سَبَّابًا»: يسب ويشتم الآخرين.

«لَعَّانًا»: يلعن الناس أو غيرهم.

«المَعْتَبَةِ»: العتاب واللوم.

«مَا لَهُ»: ما شأنه، وما الذي أصابه.

«تَرِبَ جَبِينُهُ»: أصابه التراب ولصق به، وهي كلمة تقولها العرب، ولا تقصد معناها، كقولهم: رغِم أنفه.

❁ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»(٣).

قال الطحاوي رحمه الله: «فكان معنى ذلك عندنا والله أعلم: أن الله عز وجل إنما بعثه ليكمل للناس دينهم، وأنزل عليه مما يدخل في هذا المعنى، وهو قوله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] فكانت بعثته إياه عز وجل ليكمل للناس أديانهم التي قد كان تَعَبَّد مَن تقدمه من أنبيائه بما تعبده به منها، ثم كَمَّلها عز وجل له بقوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣] والإكمال هو الإتمام فهو معنى قوله ﷺ:

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٢٣)، ويشهد له أحاديث الباب.

(٢) البخاري (٦٠٣١، ٦٠٤٦).

(٣) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٨١)، والبخاري في «التاريخ» (٧/ ١٨٨)، و «الأدب» (٢٨٠)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١/ ٣) وغيرهم، وهناك طرق أخر ذكرتها في تحقيقي لـ«شمائل» ابن كثير.

«بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» أي: صالح الأديان ؛ وهو الإسلام، وبالله التوفيق»[١].

❁ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً، وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله، فَيَنْتَقِمَ لله عز وجل»[٢].

فائدة: فيه أن ضرب الزوجة والخادم والدابة وإن كان مباحًا للأدب، فتركه أفضل.

❁ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله عز وجل»[٣].

قال النووي رحمه الله: «في هذا الحديث الحث على العفو والحلم، واحتمال الأذى، والانتصار لدين الله تعالى ممن فعل محرما أو نحوه، وفيه أنه يستحب للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلق بهذا الخلق الكريم، فلا ينتقم لنفسه، ولا يهمل حق الله تعالى»[٤].

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَت: اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخو العَشِيرَةِ- أَو: ابْنُ العَشِيرَةِ- » فَلَمَّا دَخَلَ، أَلاَنَ لَهُ الكَلاَمَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الكَلاَمَ ! قَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ - أَوْ: وَدَعَهُ النَّاسُ- اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[٥].

---

(١) «شرح مشكل الآثار» (١١/ ٢٦٣).

(٢) مسلم (٢٣٢٢).

(٣) البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٤) «شرح مسلم» (١٥/ ٨٤).

(٥) البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١).

قال المباركفوري رحمه الله: «اِتِّقَاءَ فُحْشِهِ» وفي رواية: «اتقاء شره» أي كي لا يؤذيهم بلسانه، وفيه رخصة المداراة لدفع الضرر، وقد جمع هذا الحديث كما قاله الخطابي علمًا وأدبًا، وليس قوله عليه السلام في أمته بالأمور التي يسهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه ﷺ أن يبين ذلك ويفصح به، ويعرف الناس أمورهم ؛ فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة، ولكنه لما جبل عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق، أظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه، وليقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته.

وقال القرطبي: فيه جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك، مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة، ثم قال تبعًا للقاضي حسين: والفرق بين المداراة والمداهنة. أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا، وهي مباحة وربما استحسنت، والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا. انتهى. وهذه فائدة جليلة ينبغي حفظها والمحافظة عليها؛ فإن أكثر الناس عنها غافلون وبالفرق بينهما جاهلون [1].

❑ ومن أخلاقه ﷺ أنه كان يقبل الهدية مهما كانت:

❁ عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ»[2].

«يَقْبَل الْهَدِيَّة وَيُثِيب»: أَيْ: يُعْطِي الَّذِي يُهْدِي لَهُ بَدَلهَا، وَالْمُرَاد بِالثَّوَابِ: الْمُجَازَاة، وَأَقَلّهُ مَا يُسَاوِي قِيمَة الْهَدِيَّة.

❑ ومن أخلاقه ﷺ مداعبة الصغار وتأنيسهم:

❁ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ:

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٦/ ١١٢).

(٢) البخاري (٢٥٨٥).

أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ فَطِيمًا - وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ ؟»[١].

❑ ومن أخلاقه ﷺ أنه كان لا يرد سائلاً:

❁ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فَقَالَ: لا»[٢].

❑ ومن أخلاقه ﷺ أنه ما ضرب خادمًا ولا نَهَرَه:

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «خَدَمْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَالله مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، وَلاَ قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا، وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا»[٣].

«أُفًّا»: كلمة تستعمل في كل ما يُستقذر.

«قَطُّ»: لتوكيد نفي الماضي.

❁ قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ: وَالله لاَ أَذْهَبُ - وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ الله ﷺ - فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟!». قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ الله»[٤].

❑ ومن أخلاقه ﷺ وقوفه مع الصبيان في الطريق ومسح وجوههم:

❁ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ صَلاَةَ الأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا، فَمَسَحَ خَدِّي. قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ

---

(١) البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).

(٢) البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٣) البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٤) مسلم (٢٣١٠).

رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ»(١).

«الْجُؤْنَةِ»: ما يعد فيه الطِّيب ويحرز، وهي السَّفْط الذي فيه متاع العطار.

قال النووي رحمه الله: «قوله: صلاة الأولى: يعني الظهر. والولدان: الصبيان، واحدهم وليد، وفي مسحه ﷺ الصبيان بيان حسن خلقه، ورحمته للأطفال، وملاطفتهم»(٢).

❑ بل كان النبي ﷺ موصوفًا بالأخلاق الحميدة في الكتب السابقة:

❁ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ الله ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: أَجَلْ، وَالله إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: «﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ؛ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»(٣).

«شَاهِدًا»: لأمتك بتصديقهم، وعلى الكافرين بتكذيبهم.

«وَمُبَشِّرًا»: للمؤمنين.

«وَنَذِيرًا»: للكافرين.

«حِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ»: حصنًا للعرب.

«المتَوَكِّل»: المعتمد على الله تعالى.

---

(١) مسلم (٢٣٢٩).

(٢) «شرح مسلم» (١٥/ ٨٥).

(٣) البخاري (٢١٢٥).

«بِفَظٌّ»: سيئ الخلق. «غَلِيظٍ»: شديد في القول. «سَخَّابٍ»: يرفع صوته على الناس. «يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاء»: ينفي الشرك، ويثبت التوحيد. «عُمْيًا»: لا تبصر الحق.

«صُمًّا»: لا تسمع دعوة الخير.

«غُلْفًا»: غطتها ظلمة الشرك.

❑ ومع رفعة أخلاق النبي ﷺ وكمالها فقد كان يطلب من ربه الهداية إلى أحسن الأخلاق.

❁ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلاَتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللهمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: «اللهمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي». وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: «اللهمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ». وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: « اللهمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِى خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ، وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ». ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا

قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[1].

«وَجَّهْتُ وَجْهِيَ»: أي: قصدت بعبادتي.

«لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ»: أي ابتدأ خَلْقها.

«حَنِيفًا»: قال الأكثرون: معناه: مائلاً إلى الدين الحق وهو الإسلام، وأصل الحَنَف: الميل ويكون في الخير والشر، وينصرف إلى ما تقتضيه القرينة، وقيل: المراد بالحنيف هنا: المستقيم، قاله الأزهري وآخرون، وقال أبو عبيد: الحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم ﷺ، وانتصب «حنيفًا» على الحال، أي: وجهت وجهي في حال حنيفيتي.

«وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»: بيان للحنيف وإيضاح لمعناه، والمشرك يطلق على كل كافر من عابد وثن وصنم، ويهودي ونصراني ومجوسي ومرتد وزنديق وغيرهم.

«إِنَّ صَلاَتِي، وَنُسُكِي»: قال أهل اللغة: النسك: العبادة، وأصله من النسيكة، وهي الفضة المذابة المصفاة من كل خلط، والنسيكة أيضًا: ما يُتقرب به إلى الله تعالى.

«وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي»: أي: حياتي وموتي، ويجوز فتح الياء فيهما وإسكانهما، والأكثرون على فتح ياء «محياي» وإسكان ياء «مماتي».

«لله»: قال العلماء: هذه لام الإضافة، ولها معنيان: المِلك والاختصاص، وكلاهما مراد هنا.

«وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ»: أي: أرشِدني لصوابها ووفقني للتخلق به.

«لَبَّيْكَ» قال العلماء: معناه: أنا مقيم على طاعتك إقامة بعد إقامة، يقال: لب

---

(١) مسلم (٧٧١).

بالمكان لبًّا، وألب إلبابًا، إذا أقام به. وأصل لبيك: لَبَّيْن فحذفت النون للإضافة. «وَسَعْدَيْكَ»: قال الأزهري وغيره: معناه مساعدة لأمرك بعد مساعدة، ومتابعة لدينك بعد متابعة.

«أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ»: أي: التجائي وانتمائي إليك، وتوفيقي بك.

«أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ»: معناه تُقدم مَن شئت بطاعتك وغيرها، وتؤخر مَن شئت عن ذلك كما تقتضيه حكمتك.

ولهذه الأخلاق جعل الله نبيه الأسوة الحسنة في الاقتداء به:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وهذه الآية فيها إرشاد المؤمنين إلى الاقتداء بالرسول الأمين الذي كَمَّله الله ﷻ بأحسن الأخلاق، وشَرَّفه أصلاً ومحتدًا، ورفعه منزلة وقدرًا؛ ليتقربوا إلى ربهم باتباعه والاقتداء به.

لذا فالاقتداء به على ضربين:

١- ضربٍ لم تشرع الأسوة فيه لتعذره، كخصائصه وشرف نسبه، وعلو قدره وجمال ذاته، والاصطفاء للرسالة وتلقي الوحي.

٢- ضربٍ شُرع الاقتداء به فيه، والمنافسة في تحصيله، كأخلاقه من حياء وتواضع وحلم وصفح، وغيرها مما سأذكره إن شاء الله نسأل الله أن يرزقنا التحلي بها، والحياة والموت عليها.

تواضعه ﷺ

التواضع: انكسار القلب للرب جل وعلا، وخَفْض الجناح والذل والرحمة للعباد، فلا يرى المتواضع له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقًّا، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله، وهكذا كان نبينا ﷺ .

فالتواضع من أفضل الأخلاق؛ لذا أمر الله نبيه ﷺ به فقال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨].

❁ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا فَقَالَ: «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(١).

وهذا الخلق الكريم له آثار محمودة على قلب صاحبه وعلى من حوله جميعًا، فكان لنبينا منه خير نصيب، فكان ﷺ قدوة في التواضع، وإليك أمثلة عطرة من ذلك:

❑ من تواضعه ﷺ عدم الرغبة في المدح من أصحابه ونهيهم عن ذلك:

❁ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا : عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ»(٢).

«لَا تُطْرُونِي»: الْإِطْرَاء : الْمَدْح بِالْبَاطِلِ ، تَقُول : أَطْرَيْت فُلَانًا، مَدَحْته فَأَفْرَطْت فِي مَدْحه، والمعنى: لَا تَمْدَحُونِي كَمَدْحِ النَّصَارَى، حَتَّى غَلَا بَعْضهمْ فِي عِيسَى

(١) مسلم (٢٨٦٥/ ٦٤).

(٢) البخاري (٣٤٤٥).

فَجَعَلَهُ إِلَهًا مَعَ الله، وَبَعْضهم ادَّعَى أَنَّهُ هُوَ الله، وَبَعْضهم ادَّعَى أَنَّهُ ابْن الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

« فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ»: مِن هَضْمِه نفسَه وإظهاره التواضع.

❁ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا سَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَيَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله وَرَسُولُ الله، وَالله مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَا رَفَعَنِي الله ﷻ»(١).

❑ ومن تواضعه ﷺ عمله في بيته ومساعدة أهله في أعمالهم:

❁ عَن الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ﷺ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَت الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ»(٢).

وَقَدْ وَقَعَ مُفَسَّرًا؛ فَقَد سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا ؟ قَالَتْ: نَعَمْ «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ»(٣).

قال ابن بطال ﷺ: «من أخلاق الأنبياء التواضع، والبعد عن التنعم، وامتهان النفس ليستن بهم، ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة، وقد أشير إلى ذمها بقوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾» [المزمل:١١] (٤).

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤٩)، وأخرجه أبو داود(٤٨٠٦) من حديث عبد الله بن الشخير.

(٢) البخاري (٦٧٦).

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٢٠٦، ١٢١) وعبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٤٩٢) وابن حبان (٥٦٧٦، ٦٤٤٠)، وعبد بن حميد(١٤٨٠) وغيرهم من طرق عن عروة عن عائشة، به. والحديث له طرق وألفاظ أخر ذكرتها في تحقيقي لشمائل الترمذي (٣٤٣).

(٤) «فتح الباري» (١٠/ ٤٦١).

❑ ومن تواضعه ﷺ أنه كان يعود أصحابه ماشيًا:

❁ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي لَيْسَ بِرَاكِبٍ بَغْلٍ، وَلَا بِرْذَوْنٍ»(١).

«الْبِرْذَوْنُ»: الدَّابَّةُ، وَخَصَّهُ الْعَرَبُ بِنَوْعٍ مِن الْخَيْلِ، وَيطلق: عَلَى التُّرْكِيِّ مِنْ الْخَيْلِ خِلَافَ الْعِرَابِ، وهو عظيم الخِلقة، غليظ الأعضاء قوي الأرجل، عظيم الحوافر.

❑ ومن تواضعه ﷺ ركوبه الحمار وركوب بعض الصحابة خلفه وزيارة المرضى.

❁ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ، تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ، وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةَ، وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَذَاكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، فِيهِمْ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا(٢).

«إِكَافٌ»: البرذعة، وهو للحمار بمنزلة السرج للفرس.

«قَطِيفَةٌ»: كساء غليظ له خمل، والخميلة: أكسية فيها لين، وربما كان لها خمل وهو الهدب المتعلق بها، جمعها قطائف وقُطُف.

«فَدَكِيَّةٌ»: منسوبة إلى فدك، بلدة معروفة على مرحلتين أو ثلاث من المدينة.

«عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ»: هو ما ارتفع من غبار حوافرها.

قَالَ ابْن بَطَّال رحمه الله: «قال المهلب: فى هذا التواضع من وجوه: أحدها: ركوب الإمام الحمار، ثم ركوبه على قطيفة، ثم مردفًا غلامًا. وقال الطبرى: فيه

---

(١) البخاري (٥٦٦٤).

(٢) البخاري (٥٦٦٣)، ومسلم (١٧٩٨).

البيان على أنه ﷺ مع محله من الله وجلالة منزلته لم يكن يرفع نفسه عن أن يحمل ردفًا معه على دابته، ولكنه كان يردف لتتأسى به فى ذلك أمته، فلا يأنفوا مما لم يأنف منه، ولا يستنكفوا مما لم يستنكف منه»[١].

❑ ومن تواضعه ﷺ أنه كان يجيب من يدعوه للطعام سواء كان الطعام قليلًا أم كثيرًا، عظيمًا أم حقيرًا:

❁ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[٢].

«ذِرَاع»: اليد من الحيوان. «كُرَاع»: ما استدق من ساق الحيوان.

قال ابن بطال رحمه الله: «هذا حض منه لأمته على المهاداة، والصلة، والتأليف، والتحاب، وإنما أخبر أنه لا يحقر شيئًا مما يُهدى إليه أو يدعى إليه؛ لئلا يمتنع الباعث من المهاداة لاحتقار المهدى، وإنما أشار بالكراع وفِرْسِن الشاة إلى المبالغة فى قبول القليل من الهدية، لا إلى إعطاء الكراع والفِرْسِن ومهاداته ؛ لأن أحدًا لا يفعل ذلك»[٣].

❁ وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ [٤].

«إِهَالَةٍ»: كل دهن يؤدم به، أو الدسم الجامد، وهو ما أذيب من الإلية والشحم، وهذا من تواضعه أنه يقبل الدعوة ولو إلى طعام غير جيد.

«سَنِخَةٍ»: هي الدهن المتغيرة الرائحة من طول المكث.

---

(١) «شرح البخاري» لابن بطال (٥/ ١٤٨).

(٢) البخاري (٢٥٦٨).

(٣) «شرح البخاري» لابن بطال (١٣/ ٣٩٤).

(٤) البخاري (٢٠٦٩).

❑ ومن تواضعه ﷺ أنه كان يكره أن يقوم له أصحابه مع حبهم الشديد له:

❁ عَنْ أَنَس ﷺ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُول الله ﷺ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لَهُ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَته لِذَلِكَ»(١).

❑ ومن تواضعه ﷺ حمله التراب مع أصحابه يوم الأحزاب حتى وارى التراب بياض بطنه.

❁ عَن البراءِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ، وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

وَالله لَـوْلاَ أَنْـتَ مَـا اهْتَـدَيْنَا ... وَلاَ تَـصَدَّقْنَا وَلاَ صَـلَّيْنَا

فَـأَنْزِلَنْ سَـكِينَةً عَلَيْنَـا ... إِنَّ الأُلَى قَـدْ أَبَـوْا عَلَيْنَـا.

قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ:

إِنَّ المَـلاَ قَـدْ أَبَـوْا عَلَيْنَـا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَـةً أَبَيْنَـا.

وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ(٢).

❑ ومن تواضعه ﷺ الذهاب وحده لقضاء حوائج الناس:

❁ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ امْرَأَةً لَقِيَت النَّبِيَّ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ المَدِينَةِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ اجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاحِي السِّكَكِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ» قَالَ: فَقَعَدَتْ فَقَعَدَ إِلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا(٣).

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي(٢٧٥٤)، وفي «الشمائل» (٣٣٦)، وأحمد (٣/ ١٣٢، ١٣٤، ٢٥٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٤٦)، وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد عنه، به.

(٢) البخاري (٢٨٣٧)، ومسلم (١٨٠٣).

(٣) البخاري (٦٠٧٢) معلقًا، ومسلم (٢٣٢٦).

قَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله: «خَلا معها في بعضِ الطرق: أي وَقَفَ مَعَها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية؛ فإنَّ هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها؛ لأنَّ مسألتها مما لا يظهره، والله أعلم»[(١)].

❑ ومن تواضعه ﷺ تقبيله الصبيان ورحمته بهم وتسليمه عليهم في الطرق:

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ، وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ. قَالَ عَمْرٌو: فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ»[(٢)].

«عَوَالِي الْمَدِينَةِ»: هي القرى التي عند المدينة.

«قَيْنًا»: الحداد أو الصائغ.

«مَاتَ فِي الثَّدْيِ»: معناه مات وهو في سن رضاع الثدي أو في حال تغذيه بلبن الثدي.

«لَظِئْرَيْنِ»: الظئر هي المرضعة ولدَ غيرها، وزوجها ظئر لذلك الرضيع، فلفظة ظئر تقع على الأنثى والذكر.

«تُكَمِّلانِ رَضَاعَهُ»: أي يتمانه سنتين.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ ؟! فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالُوا: لَكِنَّا وَالله مَا نُقَبِّلُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ الله نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ». وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ:

---

(١) «شرح مسلم» (١٥/ ٨٣).

(٢) مسلم (٢٣١٦).

«مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»[١].

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ ﷺ أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ»[٢].

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ[٣].

❑ ومن تواضعه ﷺ حَمْله الصبية الصغار ومضغ الطعام لتحنيكهم مع مظنة بولهم على ثيابه:

❁ عَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ ﷺ، أَنَّهَا أَتَتْ بِابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ الله ﷺ فِي حَجْرِهِ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَنَضَحَهُ، وَلَمْ يَغْسِلْهُ[٤].

«فَنَضَحَهُ»: أي رشه بماء، عمَّه من غير سيلان، وهذا من تواضعه ﷺ فلم يأنف من الصبي، ولا غضب من بوله في حجره.

❁ وعَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ سَلاَمٍ ﷺ قَالَ: سَمَّانِي رَسُولُ الله ﷺ يُوسُفَ، وَأَجْلَسَنِي فِي حَجْرِهِ[٥].

❁ وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: «وُلِدَ لِي غُلاَمٌ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِي مُوسَى»[٦].

---

(١) البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

(٢) البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٣) البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨)، واللفظ له.

(٤) البخاري (٢٢٣).

(٥) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٢٣٨) بتحقيقي، وأحمد (٤/ ٣٥).

(٦) البخاري (٥٤٦٧).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والتحنيك: مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي ودلك حنكه به، يصنع ذلك بالصبي ليتمرن على الأكل ويقوى عليه، وينبغي عند التحنيك أن يفتح فاه حتى ينزل جوفه، وأولاه التمر فإن لم يتيسر تمر فرطب، وإلا فشيء حلو، وعسل النحل أولى من غيره، ثم ما لم تمسه نار كما في نظيره مما يفطر الصائم عليه»[١].

❑ ومن تواضعه ﷺ جلوسه مع ضعفاء الصحابة وفقرائهم:

۞ عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢][٢].

❑ ومن تواضعه ﷺ جلوسه واتكائه بلا شيء يميزه عن أصحابه:

۞ عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ؛ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَجَبْتُكَ» فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ، فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ. فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ...»[٣].

---

(١) «فتح الباري» (٩/ ٥٨٨).

(٢) مسلم (٢٤١٣).

(٣) البخاري (٦٣).

www.alukah.net

«فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ»: أبركه في رحبة المسجد.

«عَقَلَهُ»: ثنى ركبته وشد حبلاً على ساقه مع ذراعه.

«مُتَّكِئٌ»: مستوٍ على وطاء وهو ما يُجلس عليه.

«بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ»: بينهم، وربما أدار بعضهم له ظهره، وهذا دليل تواضعه ﷺ.

«ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»: يا بن عبد المطلب.

«قَدْ أَجَبْتُكَ»: سمعتك.

«تَجِدْ عَلَيَّ»: تغضب.

❑ ومن تواضعه ﷺ عدم الأكل متكئًا:

❁ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «لَا آكُلُ مُتَّكِئًا»[1].

«مُتَّكِئًا»:حال كوني متكئًا. والمتكئ هو: من استوى قاعدًا على وطائه، وتمكَّن من قعوده. وقيل: هو المائل على أحد شقيه، والوطاء: هو ما يُقعد عليه.

قال ابن بطال رحمه الله: «إنما فعل النبي ﷺ ذلك تواضعًا لله»[2].

❑ ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يصب الشراب لأصحابه بنفسه، وكان آخرهم شربًا:

❁ وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ وَتَأْتُونَ الْمَاءَ إِنْ شَاءَ الله غَدًا». قَالَ: فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ، وَحَمِيَ كُلُّ شَيْءٍ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكْنَا، عَطِشْنَا. فَقَالَ: «لاَ هُلْكَ عَلَيْكُمْ». ثُمَّ قَالَ: «أَطْلِقُوا لِي غُمَرِي». قَالَ: وَدَعَا بِالْمِيضَأَةِ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ، فَلَمْ يَعْدُ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءً فِي الْمِيضَأَةِ تَكَابُّوا عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَحْسِنُوا الْمَلَأَ، كُلُّكُمْ سَيَرْوَى». قَالَ: فَفَعَلُوا

---

(١) البخاري (٥٣٩٨).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٤١).

فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُبُّ، وَأَسْقِيهِمْ حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ الله ﷺ. قَالَ: ثُمَّ صَبَّ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ لِي: «اشْرَبْ». فَقُلْتُ: لاَ أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا». قَالَ: فَشَرِبْتُ، وَشَرِبَ رَسُولُ الله ﷺ. قَالَ: فَأَتَى النَّاسُ المَاءَ جَامِّينَ رِوَاءً[1].

«لاَ هُلْكَ عَلَيْكُمْ»: أي: لا هلاك.

«أَطْلِقُوا لِي غُمَرِي»: أي: إيتوني به، والغُمَر: القدح الصغير.

«فَلَمْ يَعْدُ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءً فِي الْمِيضَأَةِ تَكَابُّوا عَلَيْهَا»: أي لم يتجاوز رؤيتهم الماء في الميضأة تكابهم، أي: تزاحمهم عليها مُكِبًّا بعضهم على بعض.

«أَحْسِنُوا المَلأَ»: الملأ: الخُلق والعِشرة، يقال: ما أحسن ملأ فلان، أي: خلقه وعشرته، وما أحسن ملأ بني فلان! أي: عشرتهم وأخلاقهم. ذكره الجوهري وغيره، وأنشد الجوهري:

تَنادَوا يا لَبُهْثَةَ إِذْ رَأَوْنا ... فَقُلْنا : أَحْسِنِي مَلأً جُهَيْنا

«إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا»: هذا من آداب شارب الماء واللبن ونحوهما، وفي معناه ما يفرق على الجماعة من المأكول كلحم وفاكهة ومشموم وغير ذلك.

وإنما كان ذلك لمعنيين:

أحدهما: أنه قد تفضَّل بإيثارهم على نفسه فينبغي أن يتمم.

والثاني: أنه إذا شرب وقد بقي أحد اتُّهم بتناول الصافي وتَرْك الكدر.

«جَامِّينَ رِوَاءً»: أي مستريحين قد رووا من الماء، والرواء ضد العطش، جمع ريان وريا، مثل عطشان وعطشى.

---

(١) مسلم (٦٨١).

❑ ومن تواضعه ﷺ نهيه الصحابة عن تفضيله على الأنبياء مع فضله وعلو منزلته:

❁ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ!! فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِن الْأَنْصَارِ فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟! فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي؟! فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الله، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ الله، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»[(١)].

«أَحُوسِبَ»: اعتبرت له إحدى الصعقتين التي يصعقها كل إنسان أو مخلوق.

«بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ» وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[الأعراف: ١٤٣].

وقد جمع أهل العلم بين الحديث السابق وقوله تعالى:﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقول النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[(٢)].

بأن النبي قال ذلك تواضعًا، وقيل: قبل أن يعرف النبي أنه سيد ولد آدم، وقيل: لا تفاضل بينهم في أصل النبوة، وقيل: لا تفاضل يحمل انتقاصًا لأحدهم.

---

(١) البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) مسلم (٢٢٧٨).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال العلماء في نهيه ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء: إنما نهى عن ذلك مَن يقوله برأيه لا مَن يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، أو المراد: لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة ، فالإمام مثلاً إذ قلنا: إنه أفضل من المؤذن لا يستلزم نقص فضيلة المؤذن بالنسبة إلى الأذان ، وقيل : النهي عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها كقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض لقوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة: ٢٥٣]. وقال الحليمي: الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة؛ لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى ازدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر، فأما إذا كان التخيير مستندًا إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان، فلا يدخل في النهي»[1].

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٤٦).

ذكر قبوله ﷺ الهدية وإثابته عليها

ومن صفات نبينا ﷺ أنه كان يقبل الهدية على اختلاف أمرها، ويكافئ صاحبها عليها.

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ»[١].

«يَقْبَل الهَدِيَّة وَيُثِيب»: أَيْ: يُعْطِي الَّذِي يُهْدِي لَهُ بَدَلَهَا، وَالْمُرَاد بِالثَّوَابِ الْمُجَازَاة، وَأَقَلّهُ مَا يُسَاوِي قِيمَةَ الْهَدِيَّة.

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[٢].

«ذِرَاع»: اليد من الحيوان.

«كُرَاع»: ما استدق من ساق الحيوان.

❁ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَمَعَ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَأُتِيَ بِهَدِيَّةٍ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، فَأَكَلَ ثَلاَثَ لُقَمٍ، ثُمَّ صَلَّى بِالنَّاسِ، وَمَا مَسَّ مَاءً[٣].

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ، أَكَلَ مِنْهَا، وَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ، لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا[٤].

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا

---

(١) البخاري (٢٥٨٥).

(٢) البخاري (٢٥٦٨).

(٣) مسلم (٣٥٩).

(٤) البخاري (٢٥٧٦)، ومسلم (١٠٧٧).

فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا. اللهمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ». قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ(١).

وله أيضًا: ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ.

وفاء النبي ﷺ بالعهد

إن نبينا ﷺ كان أوفى الناس بالعهود، وإن كانت مع الأعداء، ولم يكن الغدر صفته ﷺ قط.

❁ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ. قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا. فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ. فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ»(٢).

❑ ومن ذلك أيضًا: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ قبلَ أن يسلمَ سألهُ هِرَقْلَ -يعني عظيم الروم- عنِ النبيِّ قال: «فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا...فقال هرقل: وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ»(٣).

---

(١) مسلم (١٣٧٣).

(٢) مسلم (١٧٨٧).

(٣) البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

فكان عدم الغدر صفة في نبينا، وكانت هذه صفته في الكتب السابقة كما ذكر هرقل عظيم الروم، وأخبر بذلك أبو سفيان وهو على الكفر، وكما يقال: الحق ما شهدت به الأعداء.

حِفْظ رسول الله ﷺ للجميل

لم يَكْفر النبي ﷺ يومًا العشير بل كان يحفظ الجميل والمعروف، ويكافئ عليه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

- فكان يقبل الهدية ويكافئ من أهدى له:

۞ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ[1].

«يَقْبَل الهَدِيَّة وَيُثِيب» أَيْ يُعْطِي الَّذِي يُهْدِي لَهُ بَدَلهَا، وَالْمُرَاد بِالثَّوَابِ: الْمُجَازَاة، وَأَقَلّهُ مَا يُسَاوِي قِيمَة الْهَدِيَّة.

- كان يعرف لأبي بكر فضله وأخبر بذلك:

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ الله خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ الله». قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ، فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي

---

(١) البخاري (٢٥٨٥) قال ابن حجر في فتح الباري: لم يذكر وكيع ومحاضر عن هشام عن أبيه عن عائشة فيه إشارة إلى أن عيسى بن يونس تفرد بوصله عن هشام، وقد قال الترمذي والبزار: لا نعرفه موصولًا إلَّا من حديث عيسى بن يونس وقال الآجُرِّيّ: سألت أبا داود عنه فقال: تفرد بوصله عيسى بن يونس. وهو عند الناس مرسل. وانظر التتبع (٣٤٣).

صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»[1].

«أَمَنَّ النَّاسِ»: أكثرهم جودًا بنفسه وماله بدون استثابة ولا مِنَّة.

«خَلِيلًا»: صديقًا أنقطع إليه وأُفرغ قلبي لمودته، من الخلة، وقد قيل في معناها غير ذلك.

❑ حَفِظَ ﷺ لأم المؤمنين خديجة فضلها، فكان يذكره، ويصل رحمها وأقاربها حفظًا لجميلها وما قَدَّمته من يد العون للنبي ومواساته بمالها ونفسها رضي الله عنها:

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ - هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي - لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ»[2].

«مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ»: مثل الغيرة التي غرتها منها شدةً وقوةً، والغيرة: الحَمِيَّة والأنفة.

«هَلَكَتْ»: ماتت.

«قَصَبٍ»: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف، وقيل: أنابيب من جوهر.

«خَلَائِلِهَا»: صديقاتها، جمع خليلة، وهذا يشعر باستمرار حبه لها فهو مما يزيدها غيرة عليها.

«مَا يَسَعُهُنَّ»: ما يشبعهن، ويسد حاجتهن.

فأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها آزرته ﷺ بمالها، وأيدته، وناصرته حتى ماتت، فلم ينس النبي ﷺ صنيعها بعد مماتها بل كان يذكرها دائمًا، ويصل رحمها حتى غارت منها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

---

(١) البخاري (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥).

❑ حَفِظ للأنصار فضلهم من النصرة والتأييد بالمال والنفس والولد فأثنى عليهم أمام الجميع، وأعلن فضلهم عليه وحبه لهم:

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ وَغَيْرُهُمْ بِنَعَمِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشَرَةُ آلَافٍ وَمِنَ الطُّلَقَاءِ، فَأَدْبَرُوا عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ، فَنَادَى يَوْمَئِذٍ نِدَاءَيْنِ لَمْ يَخْلِطْ بَيْنَهُمَا، الْتَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ!» قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ. ثُمَّ الْتَفَتَ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ!» قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ. وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ، فَنَزَلَ، فَقَالَ: «أَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ». فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ غَنَائِمَ كَثِيرَةً، فَقَسَمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالطُّلَقَاءِ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا.

فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةٌ فَنَحْنُ نُدْعَى، وَيُعْطَى الْغَنِيمَةَ غَيْرُنَا!! فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟!» فَسَكَتُوا. فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ الله تَحُوزُونَهُ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟». قَالُوا: بَلَى. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَأَخَذْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ»[1].

«بِنَعَمِهِمْ»: ما عندهم من غنم وإبل ونحوها.

«وَذَرَارِيِّهِمْ»: أهليهم وأولادهم ليحثُّوهم على الثبات.

«الطُّلَقَاءِ»: جمع طليق وهو الأسير الذي خُلي سبيله، والمراد: أهل مكة الذين أطلقهم يوم فتحها.

---

(١) البخاري (٤٣٣٧)، ومسلم (١٠٥٩).

«لَبَّيْكَ»: لزومًا لطاعتك وإجابة بعد إجابة لأمرك. «شَدِيدَةٌ»: قضية ذات شدة كالحرب.

«تَحُوزُونَهُ»: يكون لكم وفي جماعتكم، مِن حازه، إذا قبضه.

وهؤلاء الأنصار الذين نصروا النبي ﷺ وآووه وأيدوه، وفدوه بأموالهم وأنفسهم محبة لدين الإسلام ونبيهم، فلم ينس لهم هذا الصنيع بل كان يُظهر شدة محبته لهم، ويدعو الله لهم بالرحمة لجميعهم صغيرهم وكبيرهم والبركة لبلدهم.

وليس ذلك فحسب بل قال فيهم: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»(١).

❏ ومن ذلك أيضًا:

صلته لرحمه وإن كانوا مشركين كقوله في أبي العاص بن أمية - وكان مشركًا في أول أمره ثم أسلم وحَسُن إسلامه - قال فيه ﷺ وهو مشرك جهارًا غير سرًا يقول: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا» يَعْنِي: أَصِلُهَا بِصِلَتِهَا(٢).

---

(١) البخاري (٣٧٨٣).

(٢) البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

حياؤه ﷺ

الحياء: تغيُّر يسببه الخوف مما يُكره قوله أو فعله، أو يُذم عليه، وتَرْك ما يُخشى معه الذم والملامة، ويظهر أثره في احمرار الوجه، فهو خلق فاضل كريم وهو شُعبة من شُعب الإيمان وهو خير كله ولا يأتي إلا بخير.

وقد كان نبينا محمد ﷺ أشد حياءً من العذراء في خِدْرها، وإليك من المواقف ما يبين ذلك:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[الأحزاب: ٥٣]. فهذه حكاية عن حال النبي وشهادة من الله على وصف النبي بخلق الحياء وكفى بها شهادة.

وأروع ما يُقرأ في هذا الباب هذا الحديث:

❁ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ(١).

قال النووي رحمه الله: «العذراء: البكر؛ لأن عذرتها باقية، وهي جلدة البكارة. والخدر ستر يجعل للبكر جنب البيت. ومعنَى «عَرَفْنَا الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِه» أي: لا يتكلم به لحيائه، بل يتغير وجهه، فنفهم نحن كراهته. وفيه فضيلة الحياء، وهو مِن شعب الإيمان، وهو خير كله، ولا يأتي إلا بخير... وهو محثوث عليه ما لم ينته إلى الضعف والنخو»(٢).

---

(١) البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٢) «شرح مسلم» (١٥/ ٧٨).

❑ حياء النبي ﷺ في فتواه للنساء:

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَت النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِهَا مِن المَحِيضِ؟ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا»، قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا!!»، قَالَتْ: كَيْفَ؟ قَالَ: «سُبْحَانَ الله تَطَهَّرِي!!» فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ[1].

«امْرَأَةً»: هي أسماء بنت شكل، وقيل غيرها.

«فِرْصَةً»: قطعة من صوف أو قطن.

«مِنْ مَسْكٍ»: مُطَيَّبة بالمسك، تستعملها المرأة في مسح دم الحيض، والمعنى: تأخذ قطنة مطيبة من مسك فتمسح مكان خروج الدم.

«سُبْحَانَ الله»: يراد بها التعجب، ومعنى التعجب هنا: كيف يخفى مثل هذا الظاهر الذي لا يحتاج الإنسان في فهمه إلى فكر؟!

«فَاجْتَبَذْتُهَا»: جررتها بشدة.

«تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ»: نظفي بها ما بقي من الدم في الفرج.

❑ وهذا موقف آخر في حياء النبي ﷺ من ربه:

❁ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْم، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْم. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْم، وَإِنِّي وَالله قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ. فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ

---

(١) البخاري (٣١٤)، ومسلم (٣٢٢).

عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ. قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»[1].

«وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ»: أي سألت ربي حتى استحييت فلا أرجع؛ فإني إن رجعت صرت غير راضٍ ولا مُسلِّم، ولكني أرضى وأسلِّم أمري وأمرهم إلى الله.

وفي الحديث استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى، وتكثير الشفاعة عنده؛ لما وقع منه ﷺ في إجابته مشورة موسى في سؤال التخفيف، وفيه فضيلة الاستحياء، وبَذْل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يَسْتَشِر الناصح في ذلك.

رحمته ﷺ

إن النبي ﷺ كان رحيمًا حتى بلغت رحمته جميع الخلائق، وهي الرحمة العامة. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه ما أرسل هذا النَّبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم. لأنه جاءهم بما يسعدهم، وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومن خالف ولم يَتَّبع فهو الذي ضَيَّع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة

(١) البخاري (٣٨٨٧).

العظمى. وضرب بعض أهل العلم لهذا مثلاً قال: لو فَجَّر الله عينًا للخلق غزيرة الماء، سهلة التناول؛ فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها. فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسالى عن العمل. فضيعوا نصيبهم من تلك العين، فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين ، ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها. ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾.

وقيل: كونه رحمة للكفار من حيث إن عقوبتهم أُخرت بسببه، وأَمِنوا به عذاب الاستئصال. والأول أظهر.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أنه ما أرسله إلا رحمة للعالمين يدل على أنه جاء بالرحمة للخلق فيما تضمنه هذا القرآن العظيم[١].اهـ

ومن ذلك أيضًا: قوله ﷺ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[٢] وهى رحمة عامة دخل فيه جميع الخلائق بهذا الوصف، وكان يقول ﷺ في شأن الحيوانات: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»[٣].

❑ورحمته ﷺ الخاصة كانت بالمؤمنين:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

هذه الآية الكريمة تدل على أن بَعْث هذا الرسول الذي هو من أنفسنا،

---

(١) «أضواء البيان» (٢٢/ ٢٣٤).

(٢) البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٣) البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢).

الذي هو متصف بهذه الصفات المشعرة بغاية الكمال، وغاية شفقته علينا ؛ هو أعظم منن الله تعالى، وأجزل نعمة علينا.

❁ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا» قَالَ: «فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا»[1].

«الحُجَزُ»: جمع حُجزة وهى معقد الإزار والسراويل.

«فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا»: أي يدخلن.

«عَنِ النَّارِ»: وضع المسبب موضع السبب؛ لأن المراد أنه يمنعهم من الوقوع في المعاصي التي تكون سببًا لولوج النار.

وحاصل هذا التشبيه: أنه شَبَّه تهافت أصحاب الشهوات في المعاصي التي تكون سببًا في الوقوع في النار، بتهافت الفراش بالوقوع في النار اتباعًا لشهواتها، وشَبَّه ذَبَّه العصاة عن المعاصي بما حذرهم به وأنذرهم، بذبِّ صاحب النار الفراش عنها. وقال عياض: شَبَّه تساقط أهل المعاصي في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا .

وشَبَّه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف ، وتعديهم حدود الله وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات ومنعه إياهم عن ذلك بأخذ حُجُزهم بالفَرَاش التي تقتحمْنَ في النار وتغلبْنَ المستوقد على دفعهن عن الاقتحام ، كما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاستضاءة والاستدفاء وغير ذلك، والفراش لجهلها جعلته سببًا لهلاكها، فكذلك كان

---

(١) مسلم (٢٢٨٤).

القصد بتلك البيانات اهتداء الأمة واجتنابها ما هو سبب هلاكهم وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها مقتضية لترديهم.

وفي قوله: «آخذ بحُجزكم» استعارة مثل حالة مَنْعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل أخذ بحجزة صاحبه الذي يكاد يهوي في مَهواة مُهلكة.

قال النووي رحمه الله: «مَثَلِي وَمَثَلِ النَّاس...» إلخ ، أتى بما هو أهم وهو قوله: «فأنا آخذٌ بحُجُزكم» ومن هذه الدقيقة التفت من الغيبة في قوله: «مثل الناس» إلى الخطاب في قوله: «بِحُجُزِكُم» كما أن مَن أخذ في حديث من له بشأنه عناية وهو مشتغل في شيء يورطه في الهلاك يجد لشدة حرصه على نجاته أنه حاضر عنده، وفيه إشارة إلى أن الإنسان إلى النذير أحوج منه إلى البشير؛ لأن جِبلَّته مائلة إلى الحظ العاجل دون الحظ الآجل. وفي الحديث ما كان فيه ﷺ من الرأفة والرحمة والحرص على نجاة الأمة ، كما قال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

❑ رحمة النبي ﷺ بالكفار:

ومن ذلك: رحمته ﷺ بذلك الغلام اليهودي الذي كان يخدمه، وحرصه ﷺ على أن لا يموت إلا على الإسلام:

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ غُلَامًا يَهُودِيًّا كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ». فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ. فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لله الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ»[2].

وكذلك ما جاء في خروجه ﷺ من الطائف بعد أن كَذَّبه أهلها، وآذوه بل كان

---

(١) انظر «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣١٨).

(٢) البخاري (١٣٥٦).

من شدة إيذائهم له أن سَلَّطوا عليه السفهاء، فرموه بالحجارة حتى أدمَوْا قدميه ﷺ.

ورغم كل هذا الأذى يأتيه جبريل ومعه مَلَك الجبال ينتظران أمره في هؤلاء الذين كذبوه وآذوه فانظر ماذا فعل؟!

يقول ﷺ: «فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ! فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ!». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[(١)].

بل لقد كان وجوده ﷺ بينهم رحمة من الله بهم؛ إذ لم يكن الله ليعذبهم وهو بينهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

❑ رحمة النبي ﷺ بالصغار:

كان النبي رحيمًا بالصغار يُقَبِّلهم ويمر عليهم في الطريق فيسلِّم عليهم ويمسح رءوسهم ويمازحهم ويُجلسهم في حِجره ويتجاوز في الصلاة حينما يسمع بكاءهم وينزل من على المنبر ويحملهم.

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٢)].

❁ وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟! فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالُوا: لَكِنَّا وَاللهِ مَا نُقَبِّلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) مسلم (٢٣١٦).

«وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ». وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ «مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»(١).

۞ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ»(٢).

قال النووي رحمه الله: قال العلماء: هذا عام يتناول رحمة الأطفال وغيرهم(٣).

۞ وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ اللهُ عز وجل»(٤).

قال المناوي رحمه الله: «قال الطيبي: فمن رَحِم خلق الله رحمه الله. قال الزين العراقي: وجاء في رواية تقييده بالمسلمين، فهل يحمل إطلاق الناس على التقييد أو الأمر أعم؟ ورحمة كل أحد بحسب ما أذن فيه الشارع فإن كانوا أهل ذمة فيحفظ لهم ذمتهم أو حربيين دخلوا بإذن فيحفظ لهم ذلك، لا أن المراد بالرحمة مودتهم وموالاتهم»(٥).

❑ رحمة النبي ﷺ بالصغار والنساء:

۞ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَدْخُلُ الصَّلاَةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ»(٦).

«وَجْدِ» الوجد يطلق على الحزن وعلى الحب أيضًا، وكلاهما سائغ هنا، والحزن أظهر، أي: من حزنها واشتغال قلبها به.

---

(١) البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

(٢) البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٣) «شرح مسلم» (١٥/ ٧٧).

(٤) البخاري (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣١٩).

(٥) «فيض القدير» (٦/ ٣١١).

(٦) البخاري (٧١٠)، ومسلم (٤٧٠).

obeikandl.com

❑ رحمة النبي ﷺ بالشباب:

❁ عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ ﷺ قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»(١).

«شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ» جمع شاب، ومعناه: متقاربون في السن.

❑ رحمة النبي ﷺ بأمّته وعدم المشقة عليهم في التكاليف الشرعية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ: عَلَى النَّاسِ - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»(٢).

❁ وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُصَلِّي سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ، وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا. وَإِنْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ»(٣).

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ - مَرَّتَيْنِ - قِيلَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ! قَالَ: «إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ، فَاكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ»(٤).

(١) البخاري (٦٢٨)، ومسلم (٦٧٤).

(٢) البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

(٣) البخاري (١١٢٨)، ومسلم (٧١٨).

(٤) البخاري (١٩٦٦)، ومسلم (١١٠٣).

عفوه وحلمه ﷺ

الحلم: هو ضبط النفس حتى لا يَظهر منها ما يُكره قولًا كان أو فعلًا عند الغضب، وما يثير من قول سيئ أو فعل غير محمود.

والعفو: هو تَرْك المؤاخذة عند القدرة على الأخذ من المسيء المبطل، وهو من خلال الكمال وصفات الجمال الخِلْقي.

كان النبي ﷺ متصفًا بالعفو والحلم، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. ويزيده شدة الجهل عليه حلمًا، وهذا من علامات النبوة التي كانت تعرفها اليهود، وكان الصفح والعفو عن الناس من شيمه فعلا بهذا الخلق الرفيع، وكان سببًا في حب الصحابة له ودخول كثيرٍ من الكفار في دين الإسلام.

❑ ومما يدل على عفوه وحلمه أنه ﷺ ما انتصر لنفسه من مظلمة ظلمها قط:

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً، وَلاَ خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله فَيَنْتَقِمَ لله عز وجل (١).

❑ رجل يجهل على النبي ﷺ فيتلَوَّن وجهه ﷺ من عِظَم مقولة هذا الرجل:

❁ وعَنْ عُرْوَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَاصَمَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فِي شَرِيجٍ مِن الْحَرَّةِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِل المَاءَ إِلَى جَارِكَ» فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ الله، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟! فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ يَا

(١) مسلم (٢٣٢٢).

زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»[1].

«شَرِيجٍ»: جمع شرج وهو مسيل الماء من المرتفع إلى السهل.

«الحَرَّةِ»: الأرض الصُّلبة الغليظة ذات الحجارة السوداء، وفي المدينة حرتان.

«اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ»: أي تساهل في سقيك، وعجِّل في إرسال الماء إلى جارك، يحضه على المسامحة والتيسير. فلما سمع الأنصاري هذا لم يرضَ بذلك، وغضب لأنه كان يريد ألا يُمسك الماء أصلًا، وعند ذلك نطق بالكلمة الجائرة المهلكة الفاقرة: «أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ»: لأنه كان ابن عمتك حكمت له بذاك . قال ذلك عند الغضب، وكان زلة منه ﷺ.

«فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ»: أي تغيَّر من الغضب لانتهاك حرمات النبوة، وقبح كلام هذا الإنسان.

«يَرْجِعَ»: يصل.

«الجَدْرِ»: الحواجز التي تحبس الماء، والمعنى: حتى تبلغ تمام الشرب، وقيل: أصل الحائط. وقيل: أصول الشجر، ويحتمل أن يريد به جدر الشرجات، وهي حُفر تجعل حول النخل يُجمع فيها الماء. وقيل: هى أعلى الجسور تحفر حول الشجر والزرع.

❑ رجل يحاول قتل النبي ﷺ فينجيه الله تعالى من القتل ويعفو عنه:

❁ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، وَاسْتَظَلَّ بِهَا، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ. فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِي،

(١) البخاري (٤٥٨٥)، ومسلم (٢٣٥٧).

فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا. قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: الله، فَشَامَهُ، ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا». قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ الله ﷺ(١).

«غَزْوَةَ نَجْدٍ»: ناحيتها وهي ما بين الحجاز إلى الشام، ومنها المدينة والطائف.

«الْقَائِلَةُ»: النوم وقت الظهيرة.

«أَعْرَابِيٌّ»: هو غورث بن الحارث.

«فَاخْتَرَطَ»: أي: سَلَّه.

«صَلْتًا»: مصلتًا بارزًا ومستويًا.

في هذا الحديث: قوة يقينهِ ﷺ، وتوكُّله على الله ﷻ، وعفوه، وحلمه، ومقابلة السيئة بالحسنة، ومحاسن أخلاقه، وكمال كرمه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

❑ يعفو النبي ﷺ عن رجل كافر هو سيد قومه؛ فيعود هذا العفو بخير ثمرة:

❁ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ. فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ. فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ».

فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، يَا مُحَمَّدُ، وَالله مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ

(١) البخاري (٤١٣٩)، ، ومسلم (٨٤٣) بنحوه.

أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا وَاللهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِن الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ(١).

«خَيْلًا»: فرسانًا يركبون الخيل.

«قِبَلَ»: جهة.

«نَجْدٍ»: ما بين الحجاز والعراق من أرض العرب.

«صَبَوْتَ»: مِلت إلى دين غير دينك ودين آبائك.

❑ وهذا مثال آخر لحلم النبي ﷺ على رجل يتجاهل عليه بالقول:

❁ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ. قَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ! لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ!!». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ. فَقَالَ: «مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي! إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(٢).

«بِالْجِعْرَانَةِ»: موضع قريب من مكة، وهو بتسكين العين والتخفيف، وقد

---

(١) البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤).

(٢) البخاري (٣١٣٨)، ومسلم (١٠٦٣).

تكسر العين وتشدد الراء.

«مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ»: هو ظرف زمان لأتى أي: حين انصرافه عليه الصلاة والسلام من حنين.

«لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ»: روي بفتح التاء في «خبتَ وخسرتَ» وبضمها فيهما، ومعنى الضم ظاهر، وتقدير الفتح: لقد خبت أنت أيها التابع إذا كنتُ لا أعدل لكونك تابعًا ومقتديًا بمن لا يعدل، والفتح أشهر.

«مَعَاذَ الله»: أي أعوذ به عوذًا من أن يتحدث الناس... إلخ.

«لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»: قال القاضي: فيه تأويلان:

أحدهما: معناه: لا تفقهه قلوبهم، ولا ينتفعون بما تلوا منه، ولا لهم حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق إذ بهما تقطيع الحروف. والثاني معناه: لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة، ولا يتقبل. والحناجر: جمع حنجرة، وهي رأس الغلصمة حيث تراه ناتئًا من خارج الحَلْق.

«يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»: قال القاضي معناه: يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرى ولم يتعلق به شيء منه، والرمية: هي الصيد المرمى.

❁ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ ﷺ وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَسَمَهَا رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلاَثَةَ الْعَامِرِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلاَبٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ. قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ، وَتَدَعُنَا؟! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لأَتَأَلَّفَهُمْ». فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ نَاتِئُ الْجَبِينِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ فَقَالَ: اتَّقِ الله يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَمَنْ يُطِعِ الله

إِنْ عَصَيْتُهُ؟! أَيَأْمَنُنِى عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُونِى؟!» قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِى قَتْلِهِ - يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ«إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ!!»[1].

«فِى تُرْبَتِهَا»: صفة لذهبة يعني أنها غير مسبوكة، لم تُخلص من ترابها.

«زَيْدُ الخَيْرِ»: كذا هو في جميع النسخ «الخير»، وفي رواية «زيد الخيل»، وكلاهما صحيح، يقال بالوجهين، كان يقال له في الجاهلية: زيد الخيل، فسماه رسول الله ﷺ في الإسلام: زيد الخير.

«صَنَادِيدَ»: جمع صنديد، وهو كل عظيم شريف رئيس متغلب.

«كَثُّ اللِّحْيَةِ»: قال ابن الأثير: الكثاثة في اللحية أن تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة، يقال: رجل كث اللحية، بالفتح، وقوم كث، بالضم.

«مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ»: أي غليظهما، والوجنتان: تثنية وجنة، والوجنة من الإنسان: ما ارتفع من لحم خده.

«غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ»: أي أن عينيه داخلتان في محاجرهما، لاصقتان بقعر الحدقة.

«نَاتِئُ الجَبِينِ»: أي بارز الجبين، من النتوء وهو الإرتفاع، ولعل الجبين وقع هنا غلطًا من الجبهة، والرواية الصحيحة هي ما يأتي بعد هذه من قوله: ناشز الجبهة أو ناتئ الجبهة، فإن الجبين جانب الجبهة، ولكل إنسان جبينان يكتنفان الجبهة، وهما لا يوصفان بالنتوء.

«مَحْلُوقُ الرَّأْسِ»: وحلق الرأس إذ ذاك مخالف للعرب؛ فإنهم لا يحلقون

---

(١) البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

رءوسهم، وكانوا يفرقون شعورهم.

«إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا»: هو أصل الشيء، وهكذا هو في جميع نسخ بلادنا، وحكاه القاضي عن الجمهور، وعن بعضهم أنه ضبطه بالمعجمتين والمهملتين جميعًا، وهذا صحيح في اللغة، قالوا: ولأصل الشيء أسماء كثيرة منها الضئضئ بالمعجمتين والمهملتين، والنجار والنحاس، والسنخ والعنصر والعيص والأرومة.

«لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»: جمع حنجرة، وهي الحلقوم، والمعنى: لا يؤثر في قلوبهم فلا يرفع في الأعمال الصالحة، ولا يُقبل منهم.

«يَمْرُقُونَ»: يخرجون بسرعة.

«الرَّمِيَّةِ»: الصيد المرمي يصيبه السهم فينفذ من ناحية إلى أخرى، ويخرج دون أن يعلق به دم لسرعته.

«قَتْلَ عَادٍ»: أي قتلًا عامًّا مستأصلًا كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨].

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ. قَالَ: فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ، وَرَكِبَ حِمَارًا، وَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَوَالله لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: وَالله لَحِمَارُ رَسُولِ الله ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ. قَالَ: فَغَضِبَ لِعَبْدِ الله رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ. قَالَ: فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ قَالَ: فَكَانَ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَبِالأَيْدِي وَبِالنِّعَالِ قَالَ: فَبَلَغَنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِمْ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] (١).

«سَبِخَةٌ»: قال النووي: «هي بفتح السين والباء، وهي الأرض التي لا تنبت لملوحتها، وذكر الفيومي أنها بكسر الباء».

---

(١) البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩).

❁ وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ، عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ[١]، وَأَرْدَفَه وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِن الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ[٢] خَمَّرَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ[٣] بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا[٤]!! فَسَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِمْ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الله وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَيُّهَا الْمَرْءُ، إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ[٥] فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ!! فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، فَاغْشَنَا[٦] بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ. فَاسْتَبَّ[٧] الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ[٨]، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ[٩] حَتَّى سَكَنُوا.

ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(١) «فَدَكِيَّةٍ» أي: من صنع فدك، وهي بلدة مشهورة على مرحلتين من المدينة.

(٢) «عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ»: هو ما ارتفع من غبار حوافرها.

(٣) «خَمَّرَ...أَنْفَهُ»: أي: غطاه.

(٤) «لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا»: أي: لا تثيروا علينا الغبار.

(٥) «إِلَى رَحْلِكَ»: أي: إلى منزلك.

(٦) «فَاغْشَنَا»: فأتنا.

(٧) «فَاسْتَبَّ»: شتم كل فريق غيره، ووصفه بما يعيبه.

(٨) «يَتَثَاوَرُونَ»: يتقاتلون.

(٩) «يُخَفِّضُهُمْ»: أي يُسَكِّنهم ويسهل الأمر بينهم.

«يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ- يُرِيدُ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ-؟ قَالَ كَذَا وَكَذَا». قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ الله اعْفُ عَنْهُ، وَاصْفَحْ عَنْهُ فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَقَدْ جَاءَ الله بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ لَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ[1] عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ[2] فَيُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَةِ[3]، فَلَمَّا أَبَى الله ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ الله شَرِقَ بِذَلِكَ[4]، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ.

فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمْ الله، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى قَالَ الله ﷻ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦] وَقَالَ الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ مَا أَمَرَهُ الله بِهِ، حَتَّى أَذِنَ الله فِيهِمْ.

فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ الله ﷺ بَدْرًا فَقَتَلَ الله بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ

---

(١) «الْبُحَيْرَةِ»: يريد المدينة، والبحيرة تصغير البحرة، وهي تطلق على الأرض والبلد والبحار والقرى.

(٢) «يُتَوِّجُوهُ»: يجعلوا على رأسه تاجًا ليكون ملكًا عليهم.

(٣) «فَيُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَةِ»: معناه اتفقوا على أن يعينوه ملكهم، وكان من عادتهم إذا مَلَّكوا إنسانًا أن يتوجوه ويعصبوه.

(٤) «شَرِقَ»: أي غص، ومعناه : حسد النبيَّ ﷺ. «بِذَلِكَ»: بما أتى به رسول الله ﷺ. وتتمة الآية : ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾. «تَصْبِرُوا»: على أذاهم.

«وَتَتَّقُوا»: تلتزموا شرع الله تعالى وتحذروا معصيته بالالتفات لما يدعوكم إليه أعداء دينه.

«عَزْمِ ٱلْأُمُورِ»: هي ما يجب التصميم عليه من الأمور ولا ينبغي لعاقل تركه، والتزامه يدل على صواب التدبير والرشد فيه.

سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِن الْمُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمُوا(١).

«حَسَدًا»: يحسدونكم حسدًا ويتمنون زوال نعمة الإيمان عنكم. «آخِرِ الْآيَةِ» وهو: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾. «بِأَمْرِهِ»: بالإذن بقتالهم.

«يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ» يفسر العفو بما أمر الله به من الصبر والاحتمال قبل الإذن بالقتال. «أَذِنَ الله فِيهِمْ» أي: في قتالهم وترك العفو إجمالًا بترك القتال. «تَوَجَّهَ» ظهر وجهه، وأنه ثابت مستقر.

❑ عفو النبي ﷺ عن امرأة وضعت له سمًّا في الطعام:

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَت النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا. فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: «لَا». فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ الله ﷺ(٢).

«أَعْرِفُهَا»: أعرف أثرها.

«لَهَوَاتِ»: جمع لهاة، وهي ما يبدو من الفم عند التبسم.وقيل: هي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم.

❑ عفو النبي ﷺ عن حاطب بن أبي بلتعة في أمر عظيم فعله:

❁ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: «ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا». فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ الله ﷺ، فَإِذَا

---

(١) البخاري (٤٥٦٦).

(٢) البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟!». قَالَ: لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ الله، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ - قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا -، وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا، وَلاَ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ». فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ الله أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». فَأَنْزَلَ الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١] (١).

«رَوْضَةَ خَاخٍ»: هي مكان بين مكة والمدينة.

«فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً»: الظعينة هنا: الجارية، وأصلها الهودج، وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه.

«تَعَادَى»: أي تجري.

«لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ»: أي لتعطيني الكتاب الذي معك أو لا أترك عليك ثوبًا إلا بحثنا فيه.

«عِقَاصِهَا»: أي شعرها المضفور، جمع عقيصة.

❁ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا قِسْمَةً فَقَالَ رَجُلٌ مِن الْأَنْصَارِ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله. قُلْتُ: أَمَا وَالله لَآتِيَنَّ النَّبِيَّ ﷺ. فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي مَلَإٍ فَسَارَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: «رَحْمَةُ الله عَلَى

(١) البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤).

مُوسَى! أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ!!»[(١)].

«مَلَإٍ»: جماعة. «فَسَارَرْتُهُ»: تكلمت معه سرًّا.

❑ ومن هذا الباب قول النبي لأهل مكة بعد فتحها: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ» وهم الذين سبُّوا النبي وآذوه واتهموه بالسحر والكهانة، والكذب، والجنون وشَجُّوا وجهه وكسروا رَبَاعِيته يوم أُحد، وحاولوا قتله مرارًا.

قال ابن القيم رحمه الله: «لما خرج رسول الله ﷺ من حصر العدو دخل في حصر النصر، فبعثت أيدي سراياه بالنصر في الأطراف، فطار ذكره في الآفاق، فصار الخلق معه ثلاثة أقسام: مؤمن به، ومسالم له، وخائف منه، ألقى الصبر في مزرعة: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف ٣٥]، فإذا أغصان النبات تهتز بخزامى: ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾[البقرة: ١٩٤]. فدخل مكة دخولًا ما دخله أحد قبله ولا بعده، حوله المهاجرون والأنصار لا يبين منهم إلا الحدق. والصحابة على مراتبهم، والملائكة فوق رءوسهم، وجبريل يتردد بينه وبين ربه، وقد أباح له حرمه الذي لم يحله لأحد سواه.

فلما قايس بين هذا اليوم وبين يوم: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ﴾ [الأنفال٣٠]، فأخرجوه ثاني اثنين. دخل وذقنه تمس قربوس سرجه[(٢)] خضوعًا وذلًّا لمن ألبسه ثوب هذا العز الذي رفعت إليه فيه الخليقة رءوسها ومدت إليه الملوك أعناقها. فدخل مكة مؤيدًا منصورًا. وعلا بلال فوق الكعبة بعد أن كان يُجر في الرمضاء على جمر الفتنة، فنشر بزا طوى عن القوم من يوم قوله: «أحد أحد». ورفع صوته بالأذان، فأجابته القبائل من كل

---

(١) البخاري (٦٢٩١).

(٢) قربوس السرج: هو مقدمه الشاخص بين يدي الراكب.

ناحية، فأقبلوا يؤمون الصوت، فدخلوا في دين الله أفواجًا، وكانوا قبل ذلك يأتون آحادًا.

فلما جلس الرسول ﷺ على منبر العز، وما نزل عنه قط، مدت الملوك أعناقها بالخضوع إليه؛ فمنهم مَن سَلَّم إليه مفاتيح البلاد، ومنهم من سأله الموادعة والصلح، ومنهم من أقر بالجزية والصَّغار. ومنهم من أخذ في الجمع والتأهب للحرب، ولم يدر أنه لم يزد على جمع الغنائم وسوق الأسارى إليه.

فلما تكامل نصره وبلّغ الرسالة وأدى الأمانة وجاءه منشور: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح١-٣]. وبعده توقيع: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر١،٢]. جاءه رسول ربه يخيره بين المقام في الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء ربه شوقًا إليه، فتزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة لا كزينة المدينة يوم قدوم المَلِك. إذا كان عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض أتباعه فرحًا واستبشارًا بقدوم روحه، فكيف بقدوم روح سيِّد الخلائق؟! فيا منتسبًا إلى غير هذا الجناب، ويا واقفًا بغير هذا الباب، ستعلم يوم الحشر أي سريرة تكون عليها: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]»[1].

(١) «الفوائد» (٩٤،٩٦).

عَدْل النبي ﷺ

العدل: خلاف الجَوْر، وعلى العدل قام أمر السماء والأرض؛ لذا أمر الله به في القول والحكم فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[الأنعام: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾[النساء: ٥٨].

فكان النبي ﷺ أعدل الناس، كان يعدل بين أصحابه، ويعدل بين أهل بيته ﷺ، ويعلمهم العدل. بل لعدله ﷺ تحاكم إليه بعض أهل الكتاب والمشركين.

❑ ومن مظاهر ذلك: تحكيم قريش له في وضع الحجر الأسود بعد خلاف شديد بينهم كاد يفضي بهم إلى القتال فقالوا: نُحكم أول قادم علينا غدًا. فكان النبي ﷺ أول قادم ، فقالوا: هذا الأمين، هذا الحكم، رضينا به!! فحكم بأن يوضع الحجر في ثوب وتأخذ كل قبيلة بطرف، ثم أخذ الحجر بيديه ووضعه في مكان من جدار البيت[1]، فرضوا بحكمه لعدله ﷺ.

❑ ومن أعظم مظاهر عدله ﷺ قَسَمُه بالله لو ابنته وقعت في حد من حدود الله لأقامه عليها، ولا يقبل شفاعة الشافعين في ذلك:

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد(٣/ ٤٢٥)، والحاكم (١/ ٤٥٨) من طريق هلال بن خباب ثنا مجاهد قال: قال لي مولاي عبد الله بن السائب فذكره. وله شاهد من حديث علي. رواه الطيالسي(١١٥) والطبراني في الأوسط(٢٤٦٣)، والحاكم (١/ ٤٥٨،٤٥٩) من طريق خالد بن عرعرة عن علي به. وخالد مجهول. وثمَّ شواهد أخر عند الدلائل(٢/ ٥٧،٥٨،٦٠)، وابن سعد (١/ ١١٥).

مِنْ حُدُودِ اللهِ؟!» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِم الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِم الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ. وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[1].

«أَهَمَّهُمْ»: أحزنهم وأثار اهتمامهم.

«شَأْنُ المَرْأَةِ»: حالها وأمرها.

«المَخْزُومِيَّةِ»: نسبة إلى بني مخزوم، واسمها: فاطمة بنت الأسود، وكانت سرقت حليًّا يوم فتح مكة.

«حِبُّ»: محبوب.

«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ؟»: تتوسل أن لا يقام حد فرضه الله تعالى، والحد: عقوبة مقدرة من المشرع.

«الشَّرِيفُ»: الذي له شأن في قومه بسبب مال أو نسب أو عشيرة.

«الضَّعِيفُ»: من ليس له عشيرة أو وجاهة في قومه.

«وَايْمُ اللهِ»: لفظ من ألفاظ القَسَم، أصلها: وأيمن الله فحذفت النون تخفيفًا، وقد تقطع الهمزة وقد توصل.

❁ وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ غَنِيمَةً بِالْجِعْرَانَةِ إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: اعْدِلْ. فَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ شَقِيتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ»[2].

❑ وكان ﷺ يأمر أصحابه بالعدل، ويحثهم عليه، ويخوفهم من الظلم.

❁ عَنِ النُّعْمَانِ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ!! فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) البخاري (٣١٣٨)، ومسلم (١٠٦٣).

فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «فَاتَّقُوا الله وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ». قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ[1].

❁ وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لله أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ». فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله. فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ- أَوْ: لَمَسَّتْكَ النَّارُ-»[2].

وفي هذا الحديث: الحث على الرفق بالمملوك، والوعظ والتنبيه على استعمال العفو، وكظم الغيظ، والحكم بالعدل كما يحكم الله على عباده.

قُرْبه ﷺ من الناس وقضاؤه حوائجهم

قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨].

❁ عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً! فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ

(١) البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣).

(٢) مسلم (١٦٥٩).

حَاجَتَكِ». فَخَلاَ مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا[١].

قال النووي رحمه الله بعد هذا الحديث وذكر بعض الأحاديث معه: «في هذه الأحاديث بيان بروزه ﷺ للناس، وقربه منهم، ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم، ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدى بها، وهكذا ينبغي لولاة الأمور، وفيها صبره ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين، وإجابته من سأله حاجة أو تبريكًا بمس يده وإدخالها في الماء كما ذكروا»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفيه سعة حلمه وتواضعه ﷺ، وصبره على قضاء حوائج الصغير والكبير، وفيه أن مفاوضة المرأة الأجنبية سرا لا يقدح في الدين عند أمن الفتنة، ولكن الأمر كما قالت عائشة: «وَأَيُّكُمْ يَمْلِك إِرْبه كَمَا كَانَ ﷺ يَمْلِك إِرْبه»[٣]»[٤].

(١) مسلم (٢٣٢٦).

(٢) «شرح مسلم» (١٥/ ٨٢).

(٣) البخاري (٣٠٢)، ومسلم (٢٩٣).

(٤) «فتح الباري» (٩/ ٣٣٣).

obeikandl.com

صبره ﷺ

إن النبي ﷺ تَخَلَّق بخلق الصبر فبلغ أعلى درجاته، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. فهذا فيه حثٌّ من الله لنبيه على أنواع الصبر الثلاثة: صبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله؛ فإن أحكام الله إما شرعية، أي: أوامر ونواهٍ، وإما كونية قدرية.

والصبر خلق مكتسب، يحمل العاقل عليه نفسه، ويروضها شيئًا فشيئًا، حتى يصبح سجية بدون طلب.

وبجميع أنواع الصبر الثلاثة كان متخلقًا ﷺ فانظر:

أولاً: صبره على طاعة الله حتى أداها؛ أداها على أكمل وجه؛ إذ كان مِن أَعْبد الناس لربه وأتقاهم وأخشاهم له وانظر إلى ما ذكر في عبادته ﷺ، دعا إلى ربه فناله الأذى الكثير فاتُّهم بالجنون وهو أكمل الناس عقلاً، واتهم بالسحر والكذب وهو أبعد الناس منهما، واتهم بالظلم وهو من أعدل الناس، فصبر على أذى قريش، فقد ضربوه، وألقوا سَلَى الجزور على ظهره، وحاصروه ثلاث سنوات ومنعوا عنه وأتباعه الطعام، وأصدروا قرارًا بقتله، واتخذوا كل وسيلة لذلك فعصمه الله. كل هذا لم يَردَّه عن دعوته، وبيّنها للقريب والبعيد، وجعله الله آية للناس في صبره وحكمته.

فقد واساه الله فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] .

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

وقد صبر النبي ﷺ طيلة عهد إبلاغ رسالته فلم يجزع يومًا، ولم يتخلَّ عن دعوته وإبلاغ رسالته على ما لاقاه من الأذى حتى بلغت دعوته الآفاق.

❑ وهذا موقف عظيم نال فيه ﷺ من الأذى ما أفقده وعيه، ولكنه صبر:

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنها قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ!! فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ!!». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[1].

«مَا لَقِيتُ»: أي: لقيت الكثير من الأذى.

«يَوْمَ الْعَقَبَةِ»: أي: كان ما لاقاه عندها، وقيل: المراد بالعقبة: جمرة العقبة التي بمنى، وقيل مكان مخصوص في الطائف، ولعل هذا أَوْلى.

«عَلَى وَجْهِي»: باتجاه الجهة المواجهة لي.

«بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ»: اسم موضع بقرب مكة، وأصل القرن: كل جبل صغير منقطع من جبل كبير، والثعالب جمع ثعلب، وهو الحيوان المشهور، ولعله سمي الموضع بذلك لكثرة الثعالب فيه.

«ذَلِكَ»: أي: ذلك كما قال جبريل، وكما سمعتَ منه.

---

(١) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

«الْأَخْشَبَيْنِ»: جبلي مكة أبي قبيس ومقابله قعيقعان، سُميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما، يقال: رجل أخشب، إذا كان صُلب العظام قليل اللحم.

«أَصْلَابِهِمْ»: جمع صُلب، وهو كل ظَهْر له فقار.

❑ وهذا موقف آخر يُخنق فيه ﷺ خنقًا شديدًا وهو يصلي لربه:

❁ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] (١).

«أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ»: لأنه يقول ذلك ويدعوكم إليه، وقد صُنع بالنبي ﷺ ذلك وهو عند الكعبة.

«بِالْبَيِّنَاتِ»: الدلائل الواضحة، والبراهين القاطعة على صدقه.

«رَبِّكُمْ»: خالقكم ورازقكم وهو الله ﷻ.

❑ وها هو النبي ﷺ يُضرب من قومه يوم أُحد حتى سال الدم من رأسه ووجهه، وكُسرت أسنانه، ومع ذلك صبر:

❁ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله؟!» فَأَنْزَلَ الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] (٢).

«يَسْلُتُ»: أي يقطع نزول الدم، ويزيله.

---

(١) البخاري (٣٦٧٨).

(٢) البخاري (٤٠٦٩) معلقًا، ومسلم (١٧٩١).

«يُفْلِحُ»: من الفلاح، وهو الفوز بالبغية من الخير.

«شَجُّوا»: من الشج وهو الجرح في الرأس أو الوجه.

«رَبَاعِيَتُهُ»: الرَّبَاعِية: السن بين الثنية والناب، وهي أربع: رباعيتان في الفك الأعلى ورباعيتان في الفك الأسفل.

❑ وهؤلاء قوم أشقياء آذوا النبي ﷺ وهو ساجد عند الكعبة، وألقوا سَلَى الجزور على ظهره:

❁ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ.

قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ، لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللهمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: «اللهمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ». وَعَدَّ السَّابِعَ، فَلَمْ يَحْفَظْهُ.

قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ[1].

«بِسَلَى»: السلى: الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم وهي كالمشيمة بالنسبة للآدمي.

---

(١) البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

«جَزُورٍ» كل مذبوح من الإبل ذكرًا كان أم أنثى.

«فَانْبَعَثَ»: أسرع.

«أَشْقَى الْقَوْمِ»: أكثرهم خبثًا وهو عقبة بن أبي معيط.

«لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ»: أي: عز وقوم يمنعوني من الأعداء لطرحته عنه.

«يَضْحَكُونَ»: أي: حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية، ثم أخذهم الضحك جدًّا فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض من كثرة الضحك.

«يُحِيلُ»: ينسب كل منهم الفعل للآخر تهكمًا. وفي رواية: «يميل» أي: من كثرة الضحك.

«عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ»: أَهْلِكْ كفارهم ومَن فَعَلَ ذلك منهم.

«صَرْعَى»: قتلى جمع صريع.

«الْقَلِيبِ»: البئر القديمة.

❑ ومما أُوذِي به النبي ﷺ أنه اتهم بالظلم وهو أعدل الناس:

❁ عَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ الله ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ. فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَالله إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ الله. قَالَ: فَقُلْتُ: وَالله لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ الله ﷺ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ. قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ الله وَرَسُولُهُ؟!». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ الله مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ!!»[1].

«حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ»: هو صبغ أحمر يصبغ به الجلود، قال ابن دريد: وقد يسمى الدم أيضًا صِرفًا.

---

(١) البخاري (٣٤٠٥، ٤٣٣٥)، ومسلم (١٠٦٢)، واللفظ له.

«قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا»: أي: آذاه قومه أكثر من هذا الإيذاء.

❑ ومن ذلك أيضًا صبره ﷺ على تآمر اليهود عليه بالمدينة، وهمهم بقتله، وتحذيب الأحزاب لحربه والقضاء عليه، وعلى دعوته:

ثانيًا: صبره عن المعاصي حتى لا يقع فيها، فلم يقع فيها، وكان أبعد الناس عن المعاصي وحذر أمته منها ومن شؤمها.

ثالثًا: صبره على أقدار الله فلم يتسخط ورضي بقضاء الله وقدره، فقد وُلد يتيمًا، ثم ماتت أمه وهو صغير، ومات جده عبد المطلب الذي تولى رعايته بعد والديه، ثم ماتت زوجته خديجة التي كانت تُعينه في دعوته وتواسيه بمالها، ومات عمه أبو طالب الذي كان ينافح عنه ويحميه من صناديد قريش، ومات أولاده الذكور جميعًا في حياته، وماتت معظم بناته وهو حي صابرًا محتسبًا وقد ذكرت ذلك في زوجات النبي وأبنائه، ومن أمثلة ذلك:

❑ ابتلي النبي ﷺ بموت ابنته أم كلثوم فصبر:

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ. قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ. قَالَ: فَقَالَ: «هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا. قَالَ: «فَانْزِلْ» قَالَ: فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا[1].

«شَهِدْنَا بِنْتًا»: هي أم كلثوم زوج عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

«لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ»: لم يفعل ذنبًا كبيرًا ولا صغيرًا، وقيل: معناه: لم يجامع ولعله الصواب.

❑ ابتلي النبي ﷺ بموت ابنه إبراهيم فصبر:

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ،

(١) البخاري (١٢٨٥).

ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ». ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»(١).

«ظِئْرًا»: زوج مرضعته، وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجارية.

«تَذْرِفَانِ»: يجري دمعها.

«وَأَنْتَ»: تفعل كما يفعل الناس عند المصائب.

«بِأُخْرَى»: أتبع الدمعة بأخرى، أو الكلمة التي قالها بأخرى.

❏ ابتلي النبي ﷺ بنقص من الثمرات فصبر:

❁ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ»(٢).

❁ وَعَنْهَا ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ»(٣).

❏ ابتلي في عِرضه ﷺ في حادثة الإفك المشهورة فصبر:

❁ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ مَعَهُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ.

---

(١) البخاري (١٣٠٣).

(٢) البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠).

(٣) مسلم (٢٩٧٠/ ٢٢).

فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ.

قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ[1] وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِن الطَّعَامِ- فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَّةَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا.

وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ.

فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ[2] حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي[3]، وَوَاللهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا[4]، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ

---

(١) «يَهْبُلْنَ»: لم يَسْمَنَّ ولم يكثر لحمهن وشحمهن.

(٢) «بِاسْتِرْجَاعِهِ»: بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٣) «فَخَمَّرْتُ»: غطيت. «بِجِلْبَابِي»: الجلباب: ثوب يغطي جسم المرأة.

(٤) «فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا»: ليسهل ركوبها، ولا يحتاج إلى مساعدة.

مُوغِرِينَ[١] فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[٢] وَهُمْ نُزُولٌ.

قَالَتْ: فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الْإِفْكِ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ.

قَالَ عُرْوَةُ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ[٣].

وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمِسْطَحُ ابْنُ أُثَاثَةَ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ فِي نَاسٍ آخَرِينَ لَا عِلْمَ لِي بِهِمْ. غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ[٤] - كَمَا قَالَ الله تَعَالَى - وَإِنَّ كِبْرَ[٥] ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ.

قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ وَتَقُولُ: إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ[٦]

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ[٧] فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي[٨] فِي

---

(١) «مُوغِرِينَ»: أي داخلين في وقت شدة الحر.

(٢) «نَحْرِ الظَّهِيرَةِ»: صدر وقت الظهر وأوله.

(٣) «وَيَسْتَوْشِيهِ»: يطلب ما عند المتحدث ليزيد منه.

(٤) «عُصْبَةٌ»: جماعة. «كَمَا قَالَ الله تَعَالَى»: أي كما ذكر في القرآن أنهم عصبة دون تحديدهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١].

(٥) «كِبْرَ ذَلِكَ»: متولي معظم حديث الإفك ومشيعه.

(٦) «عِرْضِي»: العِرض: هو موضع المدح والذم من الإنسان، وقيل: جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه، ويحامي عنه أن يُنتقص أو يُنال منه.

(٧) «يُفِيضُونَ»: يخوضون.

(٨) «يَرِيبُنِي»: يشككني في حاله.

وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ اللُّطْفَ(١) الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ(٢)؟» ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ يَرِيبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ(٣)، فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ(٤)- وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا(٥)، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ- وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ(٦) قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا.

قَالَتْ: وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ قِبَلَ الْغَائِطِ(٧)، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا.

قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ- وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ ابْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ- فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ!! فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟! فَقَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ(٨)، وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: وَقُلْتُ: مَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ. قَالَتْ: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي.

---

(١) «اللُّطْفَ»: الرفق والإحسان.

(٢) «تِيكُمْ»: اسم إشارة للمؤنث.

(٣) «نَقَهْتُ»: أفقت من المرض، وصححت من علتي.

(٤) «المَنَاصِعِ»: مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها، واحدها منصع لأنه يبرز إليه ويظهر، من نصع الشيء، إذا وضح وبان.

(٥) «مُتَبَرَّزَنَا»: مكان قضاء حاجتنا.

(٦) «الْكُنُفَ»: جمع كنيف، وهو المكان المستور من بناء أو نحوه يتخذ لقضاء الحاجة.

(٧) «قِبَلَ الْغَائِطِ»: أي التوجه نحو مكان منخفض لقضاء الحاجة.

(٨) «أَيْ هَنْتَاهْ»: يا هذه! وقيل: يا بلهاء؛ لقلة معرفتها بمكايد الناس وشرورهم.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ» فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا. قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ الله ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَالله لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً[1] عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ[2] عَلَيْهَا. قَالَتْ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ الله، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟! قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ[3] لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي. قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ. قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَمْ يُضَيِّقِ الله عَلَيْكَ[4]، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ[5]، غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ[6] فَتَأْكُلُهُ.

---

(١) «وَضِيئَةً»: حسنة جميلة، من الوضاءة وهي الحُسن.

(٢) «كَثَّرْنَ»: أكثرن القول الرديء عليها.

(٣) «يَرْقَأُ»: يسكن وينقطع.

(٤) «يُضَيِّقِ الله عَلَيْكَ»: أي تستطيع أن تطلقها وتتزوج غيرها ولم يقل ذلك عداوة ولا بغضًا لها ولا شكًا في أمرها إنما قاله إشفاقًا على رسول الله ﷺ لما رأى من انزعاجه بهذا الأمر فأراد إراحة خاطره وتسهيل الأمر عليه.

(٥) «أَغْمِصُهُ»: أعيبها به

(٦) «الدَّاجِنُ»: الشاة التي تقتنى في البيوت وتعلف، ولا تخرج إلى المرعى، وقد تطلق على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيره.

قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ- وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ- فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي[1] مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا!! وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا. وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ- أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ- فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِن الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِن الْخَزْرَجِ- وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ. قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ- فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله، لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ[2] مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ!! فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ- وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ- فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله، لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ.

قَالَتْ: فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ. قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ.

قَالَتْ: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي!! فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي. قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ. قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي

---

(١) «يَعْذِرُنِي»: يقوم بعذري إن جازيته على قبيح فعاله، وقيل: ينصرني، والعذير: الناصر.

(٢) «رَهْطِكَ»: جماعتك وقبيلتك.

بِشَيْءٍ. قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي[1] حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ الله ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ، فَقَالَ أَبِي: وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ الله ﷺ فِيمَا قَالَ. قَالَتْ أُمِّي: وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ. فَقُلْتُ- وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ مِن الْقُرْآنِ كَثِيرًا-: إِنِّي وَالله لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ- وَالله يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ- لَتُصَدِّقُنِّي، فَوَالله لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَالله يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ الله مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي. وَلَكِنْ وَالله مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الله مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى؛ لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ الله فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ الله ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي الله بِهَا!!

فَوَالله مَا رَامَ رَسُولُ الله ﷺ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ[2]، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِن الْعَرَقِ مِثْلُ الْجُمَانِ[3]- وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ- مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ.

---

(١) «قَلَصَ دَمْعِي»: انقطع.

(٢) «الْبُرَحَاءِ»: الشدة التي كانت تصيبه ﷺ عند نزول الوحي.

(٣) «الجُمَانِ»: اللؤلؤ الصغار.

قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ». قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ! فَقُلْتُ: وَالله لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا الله ﷻ!! قَالَتْ: وَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الْعَشْرَ الْآيَاتِ، ثُمَّ أَنْزَلَ الله هَذَا فِي بَرَاءَتِي.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ- وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ-: وَالله لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ!! فَأَنْزَلَ الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ- إِلَى قَوْلِهِ- غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى وَالله، إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ الله لِي. فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَالله لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ لِزَيْنَبَ: «مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَالله مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا!! قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَصَمَهَا الله بِالْوَرَعِ. قَالَتْ: وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا[1]، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.

ثُمَّ قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَالله إِنَّ الرَّجُلَ[2] الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ الله فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَى[3] قَطُّ. قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الله[4].

هذا وحياة النبي ﷺ كلها معبأة بالتعب والنصب فصبر ﷺ صبرًا جميلًا.

---

(١) «تُحَارِبُ لَهَا»: تطعن بي وتعاديني تعصبًا لأختها لأني ضرة لها مع أن زينب نفسها أمسكت عن هذا، وما قالت إلا خيرًا ﵂ وأرضاها.

(٢) «الرَّجُلَ»: المتهم وهو صفوان بن المعطل ﵁.

(٣) «كَنَفِ أُنْثَى»: ثوبها الذي يسترها، وهو كناية عن عدم جماع النساء ومخالطتهن.

(٤) البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٤٤٥، ٢٧٧٠).

حسن عشرته ﷺ

وحسبنا في بيان أدبه وحسن عشرته وجميل مخالطته قول ربه تعالى فيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد فعل، وبلغ من ذلك أحسنه فجزاه الله عن أمته خير الجزاء.

❑ فمن حُسْن عشرته ﷺ مع أهله أنه كان يسرب الجواري حتى تلعب مع أم المؤمنين عائشة:

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا كَانَتْ تَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ. قَالَتْ: «وَكَانَتْ تَأْتِينِي صَوَاحِبِي، فَكُنَّ يَنْقَمِعْنَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ»(١).

«فَكُنَّ يَنْقَمِعْنَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ»: تعني: صواحبها، كنَّ ينقبضن ويسترن بالبيت حياءً من رسول الله ﷺ وهيبة له.

«فكان يُسَرِّبهنَّ إلي»: أي: يرسلهن إليها، ويسكِّنهنَّ، ويؤنسهنَّ حتى يزول عنهنَّ ما كان أصابهنَّ منه، فيرجعن يلعبن معها كما كنَّ.

❁ وعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ الْحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ تَسْمَعُ اللهوَ»(٢).

«فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ»: راعوا فيها أنها تحب اللهو واللعب، وتحرص عليه، واقدروا رغبتها على ذلك إلى أن تنتهي.

---

(١) البخاري (٦١٣٠)، ومسلم (٢٤٤٠).

(٢) البخاري (٤٥٤، ٤٥٥)، ومسلم (٨٩٢).

«الحَدِيثَةِ السِّنِّ»: الشابة الصغيرة.

قال ابن بطال رحمه الله في شرحه على البخاري: «قال المهلب: فيه جواز نقل الأخبار عن حسن المعاشرة وضرب الأمثال بها، والتأسي بأهل الإحسان من كل أمة».

❑ وقدكان يمازح أصحابه[1] ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم،ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحر والعبد، والأَمَة والمسكين، ويعود المريض، ويدعوهم بأحب أسمائهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز.

شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

❁ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ»[2].

---

(١) انظر كتابي «المزاح آداب وأحكام».

(٢) البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

قال النووي رحمه الله: قَوْله ﷺ: «وَإِنِّي أَنَا النَّذِير الْعُرْيَان» قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة، نزع ثوبه، وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم، وهو طليعتهم ورقيبهم. قالوا: وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر، وأغرب وأشنع منظرًا، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو. وقيل: معناه: أنا النذير الذي أدركني جيش العدو، فأخذ ثيابي، فأنا أنذركم عريانًا.

«فَالنَّجَاء»: مَمْدُود، أَيْ: أَنْجُوا النَّجَاء أَوْ أَطْلُبُوا النَّجَاء.

«أَدْلَجُوا»: مَعْنَاهُ سَارُوا مِنْ أَوَّل اللَّيْل[1].

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ، وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا». قَالَ: «فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا»[2].

«الْحُجَزُ»: جمع حجزة وهى معقد الإزار والسراويل.

❑ كان النبي ﷺ شفيقًا رحيمًا بأصحابه يتفقدهم وينظر في أمورهم، وإليك هذه الأمثلة:

❁ وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي، فَأَتَى عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ». قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟». قُلْتُ: أَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا، فَتَخَلَّفْتُ. فَنَزَلَ، فَحَجَنَهُ بِمِحْجَنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «ارْكَبْ». فَرَكِبْتُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ. فَقَالَ:

---

(١) «شرح مسلم» (١٥/ ٤٨).

(٢) البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (١٨/ ٢٢٨٤).

«أَتَزَوَّجْتَ؟». فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟». فَقُلْتُ: بَلْ ثَيِّبٌ. قَالَ: «فَهَلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ». قُلْتُ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ، وَتَمْشُطُهُنَّ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ. قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ قَادِمٌ، فَإِذَا قَدِمْتَ، فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ».

ثُمَّ قَالَ: «أَتَبِيعُ جَمَلَكَ؟». قُلْتُ: نَعَمْ. فَاشْتَرَاهُ مِنِّي بِأُوقِيَّةٍ، ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ فَجِئْتُ الْمَسْجِدَ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: «الآنَ حِينَ قَدِمْتَ؟». قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «فَدَعْ جَمَلَكَ، وَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ». قَالَ: فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَأَمَرَ بِلاَلاً أَنْ يَزِنَ لِي أُوقِيَّةً، فَوَزَنَ لِي بِلاَلٌ فَأَرْجَحَ فِي الْمِيزَانِ. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ قَالَ: «ادْعُ لِي جَابِرًا». فَدُعِيتُ، فَقُلْتُ: الآنَ يَرُدُّ عَلَيَّ الْجَمَلَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ. فَقَالَ: «خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ»(١).

«وَأَعْيَا»: معناه عجز عن السير.

«فَحَجَنَهُ بِمِحْجَنِهِ»: المحجن: عصًا فيها تعقف يلتقط بها الراكب ما سقط منه.

«فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَكُفُّهُ»: أي رأيت نفسي أمنع البعير عن بعير رسول الله ﷺ حتى لا يتقدم عليه بالسبق في السير.

«الْكَيْسَ»: المراد حثه على ابتغاء الولد.

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ. ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ،

(١) البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (١٤٦٦).

فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي، وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ!» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «الحَقْ»، وَمَضَى فَتبِعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ. قَالَ: «أَبَا هِرٍّ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَادْعُهُمْ لِي». قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟! كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا. فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ الله، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِن الْبَيْتِ. قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ!» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ».

قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ. حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا. قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ الله، وَسَمَّى، وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ[1].

---

(١) البخاري(٦٤٥٢).

«لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي»: ألصق بطني بالأرض.

«لَأَشُدُّ الحَجَرَ»: أربطه، وفائدة شد الحجر: المساعدة على الاعتدال والقيام.

«طَرِيقِهِمْ»: أي النبي ﷺ وأصحابه ﷺ.

«أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ»: ضيوف المسلمين.

«يَأْوُونَ»: ينزلون ويلتجئون.

«فَسَاءَنِي ذَلِكَ»: أهمني وأحزنني. «جَاءَ»: أي الذي أمرني بدعوته، وهم أهل الصفة.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ حَصِيرٌ، وَكَانَ يُحَجِّرُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي فِيهِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ، وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ، فَثَابُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ الله لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى الله مَا دُووِمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ». وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ[1].

«يُحَجِّرُهُ»: أي يتخذه حجرة.

«فَثَابُوا»: أي اجتمعوا، وقيل: رجعوا للصلاة.

«مَا تُطِيقُونَ»: أي تطيقون الدوام عليه بلا ضرر.

«فَإِنَّ الله لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»: قال العلماء: الملل والسآمة بالمعنى المتعارف في حقنا محال في حق الله تعالى فيجب تأويل الحديث، قال المحققون: معناه: لا يعاملكم معاملة المالِّ فيقطع عنكم ثوابه وجزاءه وبسط فضله ورحمته حتى تقطعوا عملكم، وقيل: معناه: لا يمل إذا مللتم.

«مَا دُووِمَ عَلَيْهِ»: فيه الحث على المداومة على العمل، وإن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم

---

(١) البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢).

الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص، والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة.

«أَثْبَتُوهُ»: أي لازَموه وداوَموا عليه.

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ. فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْزَاهُ الله. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ»[1].

«أَخْزَاهُ»: من الخزي، وهو الذل والهوان.

«لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ»: بدعائكم عليه بالخزي، فيتوهم أنه مستحق لذلك، فيغتنم الشيطان هذا ليوقع في نفسه الوساوس.

❁ ومن ذلك دعوة عمه أبي طالب، وذهابه للطفل اليهودي الذي أسلم على يديه قبل موته.

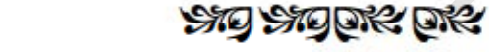

(١) البخاري (٦٧٨١).

ذكر مشورته ﷺ لأصحابه ﷺ

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

«لِنْتَ لَهُمْ»: كنت رفيقًا بهم، تعاملهم بالرفق واللطف.

«فَظًّا»: خشنًا في معاملتك شرسًا في أخلاقك جافيًا سيئ الخلق، وحاشاه ﷺ.

«غَلِيظَ الْقَلْبِ» قاسيَهُ فأغلظتَ لهم القول.

«لانْفَضُّوا»: تفرقوا وذهبوا تاركيك وشأنك.

«فَاعْفُ عَنْهُمْ»: يريد إن زلوا أو أساءوا.

«وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ»: وهي أن قاصد عمل يطلب ممن يظن فيه صواب الرأي والتدبير أن يشير عليه بما يرى فيه حصول الفائدة المرجوة من عمله. والمعنى: اطلب مشورتهم في الأمر ذي الأهمية؛ كمسائل الحرب والسلم. وأمَره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه، وتأليفًا لهم، وتطييبًا لأنفسهم، وهذا قول قتادة، ولتتأسى أمته بذلك بعده.

❑ وكان ﷺ يطلب المشورة من أصحابه:

❁ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ!!» وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ: لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِالْأَمْرِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي؟ فَأَذِنَ لَهَا، وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلَامَ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ ﴿مَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[1].

---

(١) البخاري (٧٣٧٠).

«سُبْحَانَكَ»: ننزهك عن أن تفعل زوجة نبيك، وخاتم رسلك الفاحشة.

«بِهَذَا» بالذي تكلم به الناس، وخاضوا فيه من الاتهام بالفاحشة.

«بُهْتَانٌ» كذب بالغ النهاية، يبهت مَن يسمعه ويدهشه.

❑ واستشار ﷺ أقاربه لما اتهمت عائشة رضي الله عنها وأرضاها، الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، الطاهرة المبرأة من فوق سبع سموات لما اتهمت في عِرضها، استشار رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، واستشار الجارية.

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا. قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا، وَهُوَ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ الله عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. فَقَالَ: «هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟» قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَمْرًا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟! وَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا...». فَذَكَرَ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ[1].

(١) البخاري (٧٣٦٩).

كان ﷺ لا يواجه أحدًا بما يكره

❁ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ؟! فَإِذَا تَنَخَّعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَخَّعْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا»

وَوَصَفَ الْقَاسِمُ فَتَفَلَ فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ مَسَحَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ[1].

«الْقَاسِمُ»: هو أحد رواة الحديث.

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يَرُدُّ ثَوْبَهُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: رَخَّصَ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَمْرٍ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ ؟! فَوَالله لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِالله، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[2].

❁ وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلاً مِنَ الأَسْدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ - قَالَ عَمْرٌو وَابْنُ أَبِي عُمَرَ: عَلَى الصَّدَقَةِ - فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا لِي، أُهْدِيَ لِي قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي؟! أَفَلاَ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لاَ ؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لاَ يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، بَعِيرٌ

---

(١) البخاري (٤١٦)، ومسلم (٥٥٠)، واللفظ له.

(٢) البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ». ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللهمَّ هَلْ بَلَّغْتُ». مَرَّتَيْنِ[1].

«الرُّغَاء»: صوت الإبل.

«الخُوَار»: صوت البقرة.

«تَيْعِرُ»: تصيح وتُصَوِّت صوتًا شديدًا، واليُعَارُ: صوت الشاة.

«العُفْرَة»: بياض مشوب بالسمرة، وهو مأخوذ من عفر الأرض، وهو وجهها.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ بَرِيرَةُ فَقَالَتْ: إِنَّ أَهْلِي كَاتَبُونِي عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ فِي تِسْعِ سِنِينَ، فِي كُلِّ سَنَةٍ أُوقِيَّةٌ، فَأَعِينِينِي. فَقُلْتُ لَهَا: إِنْ شَاءَ أَهْلُكِ أَنْ أَعُدَّهَا لَهُمْ عَدَّةً وَاحِدَةً وَأُعْتِقَكِ وَيَكُونَ الْوَلاَءُ لِي فَعَلْتُ. فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لأَهْلِهَا فَأَبَوْا إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الْوَلاَءُ لَهُمْ، فَأَتَتْنِي فَذَكَرَتْ ذَلِكَ. قَالَتْ: فَانْتَهَرْتُهَا فَقَالَتْ: لاَهَا الله إِذًا. قَالَتْ: فَسَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «اشْتَرِيهَا وَأَعْتِقِيهَا، وَاشْتَرِطِي لهم الْوَلاَءَ؛ فَإِنَّ الْوَلاَءَ لِمَنْ أَعْتَقَ». فَفَعَلْتُ.

قَالَتْ: ثُمَّ خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ عَشِيَّةً فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ الله؟! مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ الله ﷻ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، كِتَابُ الله أَحَقُّ وَشَرْطُ الله أَوْثَقُ، مَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ ؟! يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَعْتِقْ فُلاَنًا وَالْوَلاَءُ لِي، إِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ»[2].

«كَاتَبُونِي»: الكتابة: أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجمًا، فإذا أداه صار حُرًّا.

---

(١) البخاري (٦٦٣٦)، ومسلم (١٨٣٢).

(٢) البخاري (٢٥٦١)، ومسلم (١٥٠٤).

«أَنْ أَعُدَّهَا لَهُمْ عَدَّةً وَاحِدَةً»: أي أعطيها لهم جملة حاضرة.

«لاَهَا الله إِذًا»: أي: ذا يميني، ومعناه: لا والله هذا ما أقسم به، فأدخل اسم الله تعالى بين ها وذا.

❑ وهؤلاء أقوام يتعمقون ويريدون مشابهة النبي ﷺ في خصائصه، فلم يواجههم بأسمائهم بل خاطب الناس، وبيَّن لهم الأمر بدون أن يُعَين مَن وقع فيه:

❁ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي فِي رَمَضَانَ، فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَامَ أَيْضًا حَتَّى كُنَّا رَهْطًا، فَلَمَّا حَسَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّا خَلْفَهُ جَعَلَ يَتَجَوَّزُ فِي الصَّلاَةِ، ثُمَّ دَخَلَ رَحْلَهُ فَصَلَّى صَلاَةً لاَ يُصَلِّيهَا عِنْدَنَا. قَالَ: قُلْنَا لَهُ حِينَ أَصْبَحْنَا: أَفَطِنْتَ لَنَا اللَّيْلَةَ ؟ قَالَ: فَقَالَ: «نَعَمْ ذَاكَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى الَّذِي صَنَعْتُ». قَالَ: فَأَخَذَ يُوَاصِلُ رَسُولُ الله ﷺ وَذَاكَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ، فَأَخَذَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُوَاصِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يُواصِلُونَ؟! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي. أَمَا وَالله لَوْ تَمَادَّ لِيَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالاً يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ»[1].

«رَهْطًا»: قال ابن الأثير رحمه الله في «النهاية»: الرهط من الرجال: ما دون العشرة، وقيل: إلى الأربعين، ولا تكون فيهم امرأة.

«يَتَجَوَّزُ»: أي: يخفف ويقتصر على الجائز المجزئ مع بعض المندوبات، والتجوز هنا للمصلحة.

«ثُمَّ دَخَلَ رَحْلَهُ»: أي منزله.

«يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ»: الجملة صفة لوصال، ومعنى «يَدَعُ»: يترك والتّعَمُّق: المبالغة في الأمر متشددًا فيه طالبًا أقصى غايته، وقال النووي: هم

---

(١) مسلم (١١٠٤).

المشددون في الأمور، المجاوزون الحدود في قول أو فعل.

❑ موقف النبي ﷺ من غيرة النساء:

❁ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ[1].

«بِصَحْفَةٍ»: إناء كالقصعة المبسوطة.

«فَانْفَلَقَتْ»: تكسرت.

«فِلَقَ»: قِطَع جمع فِلْقة.

❑ رجل يتكلم في الصلاة فَيُحْسن النبي ﷺ إرشاده وتعليمه:

❁ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَالله مَا كَهَرَنِي، وَلاَ ضَرَبَنِي، وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[2].

---

(١) البخاري (٢٥٦١).

(٢) مسلم (٥٣٧).

«فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ»: أي نظروا إليَّ حديدًا كما يرمى بالسهم زجرًا بالبصر من غير كلام.

«وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ!»: وهو فقدان المرأة ولدها، وامرأة ثكلى وثاكل، وثكلته أمه وأثكله الله تعالى أمه، أي: وافقد أمي إياي، فإني هلكت. «وا»: كلمة تختص في النداء بالندبة، وثكل أمياه مندوب، ولكونه مضافًا منصوب، وهو مضاف إلى «أم» المكسورة الميم لإضافته إلى ياء المتكلم الملحق بآخره الألف والهاء، وهذه الألف تلحق المندوب لأجل مد الصوت به إظهارًا لشدة الحزن، والهاء التي بعدها هي هاء السكت، ولا تكونان إلا في الآخر.

«مَا شَأْنُكُمْ»: أي ما حالكم وأَمْركم.

«رَأَيْتُهُمْ»: أي عَلِمتهم.

«يُصَمِّتُونَنِي»: أي يسكتونني؛ غضبت وتغيرت.

«كَهَرَنِي»: قالوا: القهر والكهر والنهر متقاربة، أي: ما قهرني ولا نهرني.

❑ أعرابي يبول في المسجد فرفق به ﷺ ولم يعنفه:

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ». ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَصُبَّ عَلَيْهِ[1].

«أَعْرَابِيًّا»: الأعرابي: هو الذي يسكن البادية.

«لَا تُزْرِمُوهُ»: معناه: لا تقطعوا عليه بوله، والإزرام: القطع.

(١) البخاري (٦٠٢٥)، ومسلم (٢٨٤).

obeikandi.com

مزاحه ﷺ

ومن صفاته ﷺ أنه كان يمازح أصحابه، ويُدخل السرور عليهم، ويتودد بمزاحه إليهم، ولا يشوب مزاحه بكذب ولا قطيعة، بل يمزح ولا يقول إلا حقًّا.

وباستعراضنا للمواقف النبوية الآتية تتجلى لنا هذه الأمور:

❁ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، فَقَالَ: «إِنِّي لا أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا»(١).

«الدُّعَابَة»: هِيَ الْمُلَاطَفَة فِي الْقَوْل بِالْمِزَاحِ وَغَيْره.

والمقصود: تداعب وتمزح بحق وصدق، ولا تكذب، ولا تفرط فيه.

❑ من مزاح النبي ﷺ مع الصبية الصغار بالقول والفعل:

❁ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ. قَالَ: -أَحْسِبُهُ فَطِيمًا- وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»(٢).

قال أبو عيسى رحمه الله: «وفِقْه هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يمازح، وفيه: أنه كنى غلامًا صغيرًا فقال له: «يا أبا عمير». وفيه: أنه لا بأس أن يعطى الصبي الطير ليلعب به، وإنما قال له النبي ﷺ: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟» لأنه كان له نغير يلعب به فمات، فحزن الغلام عليه فمازحه النبي ﷺ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه الترمذي(١٩٩٠) وقال: (حسن صحيح) وفي «الشمائل» (٢٣٨) وأحمد (٢/ ٣٦٠)، ورجاله ثقات إلا أسامة بن زيد الليثي (صدوق يهم)، وللحديث طرق أخر وشواهد ذكرتها في تحقيقي لـ«شمائل» الترمذي.

(٢) البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).

فَعَلَ النُّغَيْرُ ؟ »[١].

❁ وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ قَالَ: «عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ»[٢].

«عَقَلْتُ»: حفظت وعَرَفت.

«مَجَّةً مَجَّهَا»: قَالَ الْعُلَمَاء: المَجُّ: طَرْح المَاء مِن الْفَم بِالتَّزْرِيقِ، وَفِي هَذَا مُلَاطَفَة الصِّبْيَان وَتَأْنِيسهمْ وَإِكْرَام آبَائِهِمْ بِذَلِكَ، وَجَوَاز المُزَاح[٣].

قلت: وهذه الأدلة تبين أن المزاح قد يكون بالقول أو بالفعل.

❁ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ[٤] قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «يَا ذَا الأُذُنَيْنِ».

قَالَ مَحْمُودٌ: قَالَ أَبُو أُسَامَةَ: يَعْنِي مَازَحَهُ.

قال المباركفوري رحمه الله: قوله: «يا ذا الأذنين»: معناه الحض والتنبيه على حسن الاستماع لما يقال له ؛ لأن السمع بحاسة الأذن، ومن خلق الله له الأذنين وغفل ولم يحسن الوعي لم يعذر، وقيل: إن هذا القول من جملة مداعباته ﷺ ولطيف أخلاقه، قاله صاحب «النهاية»، كذا في «المرقاة». قلت: ما قال صاحب النهاية هو الظاهر عندي وهو الذي فهمه الترمذي وشيخ شيخه[٥].اهـ

---

(١) «الشمائل» (٢٣٦)، وقد توسعت في هذا الباب في كتابي **«المزاح آداب وأحكام»** وذكرت ما يتعلق به من أحكام لمن أراد أن يراجعه.

(٢) البخاري (٧٧)، ومسلم (٦٥٧/ ٢٦٥).

(٣) «شرح مسلم» (٥/ ١٦٢).

(٤) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي(١٩٩٢) وقال: (صحيح غريب) وفي «الشمائل» (٢٣٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٢٥).

(٥) «تحفة الأحوذي» (٦/ ١٠٨).

❑ مزاح النبي ﷺ مع سائل يسأله:

❁ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله احْمِلْنِي. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ». قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلاَّ النُّوقُ»[(١)].

«يَا رَسُولَ الله احْمِلْنِي»: أَيْ سَأَلَهُ الْحُمْلَانَ، وَالْمُرَادُ بِهِ أَنْ يُعْطِيَهُ حَمُولَةً يَرْكَبُهَا.

قال صاحب «عون المعبود» رحمه الله: «لما كان المتعارف عند العامة في بادي الرأي استعمال ولد الناقة فيما كان صغيرًا لا يصلح للركوب، وإنما يقال للصالح الإبل توحش الرجل على فهم المعنى... فالإبل ولو كبارًا أولاد الناقة فيصدق ولد الناقة بالكبير والصغير»[(٢)].

❑ مداعبة النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب مع أنه غاضَبَ ابنته:

❁ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟». قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي، فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِإِنْسَانٍ: «انْظُرْ أَيْنَ هُوَ» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ. فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ»[(٣)].

«يَقِلْ»: من القيلولة وهي النوم نصف النهار.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي(١٩٩١) وقال: (حسن صحيح) وفي «الشمائل» (٢٣٩)، وأبو داود (٤٩٩٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٨).

(٢) «عون المعبود» (١٣/ ٣٤٣).

(٣) البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩).

«لِإِنْسَانٍ»: قال الحافظ ابن حجر: يظهر لي أنه سهل راوي الحديث؛ لأنه لم يُذكر أنه كان مع النبي ﷺ غيره.

«رَاقِدٌ»: نائم. «شِقِّهِ»: جانبه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي حديث سهل هذا من الفوائد أيضا: جواز القائلة في المسجد، وممازحة المغضب بما لا يغضب منه بل يحصل به تأنيسه، وفيه التكنية بغير الولد، وتكنية من له كنية، والتلقيب بالكنية لمن لا يغضب»[1].

❑ من مزاحه نداء الرجل بالحال الذي عليه لا باسمه ولا كنيته:

❁ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟! لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ الله مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟». فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ الله مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟». فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ الله مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟». فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ.

فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ». فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ». فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ: «وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ». وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ، وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٥٣٦).

أَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ الله ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»(١).

«وَأَبْلَيْتُ»: أي بالغت في نصرته، كأنه أراد الزيادة على نصرة الصحابة.

«وَقُرٌّ» القُر: هو البرد.

«وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»: أي لا تفزعهم عليَّ، ولا تحركهم عليَّ. وقيل: معناه: لا تنفرهم، وهو قريب من المعنى الأول. والمراد: لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضررًا عليَّ لأنك رسولي وصاحبي.

«كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ»: يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئًا بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي ﷺ، وذهابه فيما وَجَّهه له، ودعائه ﷺ له، واستمر ذلك اللطف به، ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي ﷺ، فلما عاد ووصل عاد إليه البرد الذي يجده الناس، ولفظ «الحمام» عربية وهو مذكر مشتق من الحميم، وهو الماء الحار.

«يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ»: أي يدفئه ويدنيه منها. «كَبِدِ الْقَوْسِ»: هو مقبضها، وكبد كل شيء: وسطه. «قُرِرْتُ» أي بردت، وهو جواب «فلما أتيته».

«عَبَاءَةٍ»: العباءة والعباية بزيادة ياء لغتان مشهورتان معروفتان، قال في المنجد: العباءة: كساء مفتوح من قُدام يُلبس فوق الثياب.

«أَصْبَحْتُ»: أي طلع عليَّ الفجر.

«يَا نَوْمَانُ»: هو كثير النوم، وأكثر ما يستعمل في النداء كما استعمله هنا.

---

(١) مسلم (٢٠٥٥).

كرمه وكثرة عطائه وجوده ﷺ

كان النبي ﷺ أجود من الريح المرسلة، وكان من عادته ألا يَردَّ سائلًا حتى إن رجلًا سأله حلة كان يلبسها، فدخل بيته فخلعها وأعطاه إياها، فكانت القناعة واختيار الباقي على الفاني سجيته ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

❁ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فَقَالَ: لا»(١).

قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: «مَعْنَاهُ: مَا طُلِبَ مِنْهُ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَمَنَعَهُ»(٢).

❁ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ. قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لاَ يَخْشَى الْفَاقَةَ»(٣).

❁ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا؛ فَوَالله إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا(٤).

---

(١) البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٥٧).

(٣) مسلم (٢٣١٢).

(٤) مسلم (٢٣١٢/ ٥٨).

قال النووي رحمه الله: «هكذا هو في معظم النسخ: «فما يسلم»، وفي بعضها «فما يمسي»، وكلاهما صحيح، ومعنى الأول: فما يلبث بعد إسلامه إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحب إليه، والمراد أنه يظهر الإسلام أولًا للدنيا، لا بقصد صحيح بقلبه، ثم من بركة النبي ﷺ ونور الإسلام لم يلبث إلا قليلًا حتى ينشرح صدره بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه، فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها»[١].

❁ وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»[٢].

قال النووي رحمه الله: «وفي هذا الحديث فوائد؛ منها: بيان عظم جوده ﷺ، ومنها: استحباب إكثار الجود في رمضان، ومنها: زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم، ومنها: استحباب مدارسة القرآن»[٣].

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ!! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[٤].

«البُرْدُ»: الشَّمْلَةُ المخطَّطة، «نَجْرَان»: بلد بين الحجاز واليمن.

---

(١) «شرح مسلم» (١٥/ ٧٢).

(٢) البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٣) «شرح مسلم» (١٥/ ٦٩).

(٤) البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

«حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ»: طرفه.

قال النووي رحمه الله: «فيه احتمال الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة، وإعطاء من يتألف قلبه، والعفو عن مرتكب كبيرة لا حد فيها بجهله، وإباحة الضحك عند الأمور التي يتعجب منها في العادة، وفيه كمال خلق رسول الله ﷺ وحلمه وصفحه الجميل»[(١)].

❁ وعنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ الْتَقَى هَوَازِنُ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشَرَةُ آلَافٍ وَالطُّلَقَاءُ فَأَدْبَرُوا، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ». قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، لَبَّيْكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ». فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ فَأَعْطَى الطُّلَقَاءَ وَالْمُهَاجِرِينَ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا فَقَالُوا فَدَعَاهُمْ فَأَدْخَلَهُمْ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ الله ﷺ؟!» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا؛ لَاخْتَرْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ»[(٢)].

«الطُّلَقَاءُ»: جمع طليق وهو الأسير الذي خُلي سبيله، والمراد: أهل مكة الذين أطلقهم يوم فتحها.

«لَبَّيْكَ... وَسَعْدَيْكَ»: لزومًا لطاعتك، وإجابة بعد إجابة لأمرك، وسعيًا في إسعادك إسعادًا بعد إسعاد.

«فَقَالُوا»: تكلموا في منع العطاء عنهم.

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ: «انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ». وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ. فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ

---

(١) «شرح مسلم» (٧/ ١٤٧).

(٢) البخاري (٤٣٣٣)، ومسلم (١٠٥٩) بنحوه.

إِلَى الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَعْطِنِي فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي، وَفَادَيْتُ عَقِيلًا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «خُذْ». فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَوْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ. قَالَ: «لَا». قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ. قَالَ: «لَا». فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَوْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ عَلَيَّ. قَالَ: «لَا». قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ قَالَ: «لَا» فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى كَاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ، فَمَا زَالَ رَسُولُ الله ﷺ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا ؛ عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ، فَمَا قَامَ رَسُولُ الله ﷺ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ[1].

«انْثُرُوهُ»: صُبوه.

«فَادَيْتُ»: دفعت الفداء يوم بدر حيث أُخذ أسيرًا هو وعقيل ابن أخيه.

«فَحَثَا»: من الحثية، وهي ملء اليد.

«يُقِلُّهُ»: يرفعه ويحمله.

«كَاهِلِهِ»: ما بين كتفيه.

«عَجَبًا»: تعجبًا.

«وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ» ثَم: هناك، أي: وزعها جميعًا ولم يبق درهم واحد لنفسه.

❁ وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ رَسُولَ الله ﷺ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا»[2].

---

(١) البخاري (٤٢١).

(٢) البخاري (٢٨٢١).

«اضْطَرُّوهُ»: ألجئوه.

«سَمُرَةٍ»: شجرة لها زهر أصفر.

«العِضَاه»: شجر عظيم الشوك.

❁ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ[1].

❁ وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ- فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ. فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا- فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَكْسُوكَ هَذِهِ. فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِن الصَّحَابَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَاكْسُنِيهَا! فَقَالَ: «نَعَمْ». فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لَامَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ!! فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا[2].

❁ وعَنْ أَبِي زُمَيْلٍ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ لاَ يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ، وَلاَ يُقَاعِدُونَهُ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا نَبِيَّ الله ثَلاَثٌ أَعْطِنِيهِنَّ ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أُزَوِّجُكَهَا. قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ. قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: وَلَوْلاَ أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ ؛ لأَنَّهُ لَمْ

---

(١) البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٢) البخاري (٦٠٣٦).

يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلاَّ قَالَ: «نَعَمْ»(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد تقدم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خادمه عليه السلام أنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ... الحديث، وكيف لا يكون كذلك وهو رسول الله ﷺ المجبول على أكمل الصفات، الواثق بما في يدي الله عز وجل، الذي أنزل الله عليه في محكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:١٠] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]، وهو عليه السلام الصادق المصدوق في الوعد والمقال، القائل لمؤذنه بلال: «أَنْفِقْ بِلالُ، وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالا» (٢) وهو القائل عليه السلام: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(٣)، وفي الحديث الآخر أنه قال لعائشة: «لَا تُوعِي فَيُوعِيَ الله عَلَيْكِ، وَلا تُوكِي (٤) فَيُوكِيَ الله عَلَيْكِ»(٥)، وفي الصحيح أنه عليه السلام قال: يقول الله تعالى: «يَا

(١) مسلم (٢٥٠١).

(٢) **حسن لطرقه**: أخرجه أبو يعلى (١٤٣٧)، والبزار(١٩٦٨،٣٦٥٣،٣٦٥٥) وغيرهم وقد ذكرت طرقه في تخريجي لشمائل ابن كثير (١٧٦،١٧٧).

(٣) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٤) قوله: (**وَلا تُوكِي**): أي: لا تدخري وتمنعي ما في يديك، فتنقطع مادة الرزق عنك.

(٥) البخاري (١٤٣٤،٢٥٩١)، ومسلم (١٠٢٩) .من حديث أسماء بنت أبي بكر بلفظ: «**لَا تُوعِي فَيُوعِيَ الله عَلَيْكِ ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ**»، ورواه البخاري (١٤٣٣) بلفظ: «**لَا تُوعِي فَيُوعِيَ الله عَلَيْكِ**»، وحديث عائشة أخرجه أبو داود (١٧٠٠)، والنسائي (٥/ ٧٣)، وقوله «**لَا تُوعِي**»: من وعيت الشيء إذا حفظته أو جعلته في وعاء، والمعنى: لا تدخري المال وتمسكي عن إنفاقه. «**ارْضَخِي**»: من الرضخ؛ وهو العطاء غير الكثير.

ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»[(١)].

فكيف لا يكون أكرم الناس، وأشجع الناس، وهو المتوكل الذي لا أعظم منه في توكله، الواثق برزق الله ونصره، المستعين بربه في جميع أمره ؟!»[(٢)].

زهده ﷺ وإعراضه عن الدنيا

الزهد في الدنيا أي: الرغبة عنها، وعدم الرغبة فيها، وذلك بطلبها طلبًا لايشق، ولا يحول دون أداء واجب، وسد باب الطمع في الإكثار منها والازدياد من متاعها، وهو ما زاد على قدر الحاجة؛ فإن النبي ﷺ كان أزهد الناس في الدنيا.

ويدل على ذلك ما ذكر في إنفاقه، وكان حريصًا على الدار الآخرة كما ذكر في صفة عبادته ﷺ.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٤،٥٣٥٢)، ومسلم (٩٩٣) وقال النووي في شرح مسلم : «قوله : «أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» : هو معنى قوله ﷻ : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]. فيتضمن الحث على الإنفاق في وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى».

(٢) شمائل الرسول (ص١٧٦، ١٧٨) بتصرف يسير.

وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠].

وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨].

والآياتُ في هذا كثيرةٌ.

وأما الأحاديثُ فمنها:

❁ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَحْفِرُ الْخَنْدَقَ وَنَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَافِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ»(١).

«لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ»: أي لا عيش باقٍ أو لا عيش مطلوب.

❁ وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لاَ يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ، يَقُولُ: «﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩]» الآيَةَ. فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ(٢).

❁ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا، وَجَاءَ عَلِيٌّ فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى بَابِهَا سِتْرًا مَوْشِيًّا» فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟!» فَأَتَاهَا عَلِيٌّ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ: لِيَأْمُرْنِي فِيهِ بِمَا شَاءَ! قَالَ: «تُرْسِلُ بِهِ إِلَى فُلَانٍ أَهْلِ بَيْتٍ بِهِمْ حَاجَةٌ»(٣).

«مَوْشِيًّا»: منقوشًا، ومخططًا بألوان شتى.

---

(١) البخاري (٣٧٩٧)، ومسلم (١٨٠٤)، وانظر «ما جاء في عيش رسول الله ﷺ» من كتابنا هذا، وقد سبق.

(٢) البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (٢٤٤٤/ ٨٦).

(٣) البخاري (٢٦١٣).

«مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟!»: ليس لي حاجة بزخرف الدنيا.

❁ وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قال: اضْطَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَأَثَّرَ الْحَصِيرُ بِجِلْدِه، فجَعَلْتُ أَمْسَحُه فَأقول: بِأَبِي أنت وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله ألا آذَنْتَنَا[1] فَنَبْسُطُ لَكَ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ تنامُ عليه؟! فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا والدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[2].

❁ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَوْ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا!! فَقَالَ: «مَا لِي وَللدنيا؟! مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ[3]، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[4].

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا سَرَّنِي أَنْ تَأْتِيَ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ»[5].

---

(١) **الأَذَانِ والإِذْنِ**: هو الإعْلام بالشيء أو الإخبار به وباقترابه.

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد(١/ ٤٤١)، والطيالسي (٢٧١)، وابن المبارك في «الزهد»(١٩٥)، وابن سعد(١/ ٤٦٧)، وأبو نُعَيم في «الحلية»(٣/ ٢٣٤، ٤، ٣٤٢)، والطبراني في «الأوسط» (٩٣٠٧)، من طرق عن المسعودي به. ومن الرواة الذين رووه عن المسعودي وكيع وهو من الذين رووا عن المسعودي قبل الاختلاط. وقال الحافظ ابن حجر في «التهذيب». تـ. المسعودي قال ابن عيينة : ما أعلم أحدًا أعلم بعلم ابن مسعود من المسعودي، وله شواهد ذكرتها في تحقيقي لشمائل ابن كثير (٢١٠).

(٣) **الصَّائِف** : الشديد الحر .

(٤) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد(١/ ٣٠١)، وعبد بن حميد(٥٩٩)، وابن حبان (٦٣٥٢)، وأبو نُعَيم في «الحلية»(٣/ ٣٤٢) من طرق عن هلال به. وهلال يحسن حديثه، وذكر الحديث ابن حبان في المجروحين، وقال ابن كثير في «السيرة النبوية» (٤/ ٥٦٣): إسناده جيد. ويشهد له ما قبله، وقال أبو نعيم: هذا حديث ثابت من غير وجه، رواه ابن مسعود وغيره، عن النبي ﷺ وهو من حديث عكرمة غريب، تفرد به عنه هلال.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٤٥، ٧٢٢٨)، ومسلم (٩٩١).

❁ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اللهمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»(١).

❁ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حُلَّةَ سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَوْ اشْتَرَيْتَهَا فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ. قَالَ: «إِنَّمَا يَلْبَسُهَا مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ». ثُمَّ جَاءَتْ حُلَلٌ فَأَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ عُمَرَ مِنْهَا حُلَّةً، وَقَالَ: أَكَسَوْتَنِيهَا وَقُلْتَ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ؟!. فَقَالَ: «إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا». فَكَسَاهَا عُمَرُ أَخًا لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا(٢).

«حُلَّةِ عُطَارِد» ثوب منسوب إلى عطارد بن حاجب بن زرارة.

❁ وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَالله لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ- أَوْ: مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ- وَإِنِّي وَالله مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»(٣).

«أَهْلِ أُحُدٍ»: شهداء غزوة أحد.

«فَرَطُكُمْ»: سابقكم لأهيئ لكم طيب المنزل والمقام.

«أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ»: إخبار عما سيفتح لأمته من بعده من الخزائن والمُلك.

«تَنَافَسُوا فِيهَا»: أن تتنازعوا وتختصموا على الدنيا وما فيها من ملك وخزائن، من المنافسة وهي الرغبة في الشيء والانفراد به.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

(٢) البخاري (٢٦١٢).

(٣) البخاري (٦٤٢٦)، ومسلم (٢٢٩٦).

❁ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مسعودٍ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْم صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[(١)].

❁ وعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: «مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَلَا عَبْدًا وَلَا أَمَةً وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً»[(٢)].

❁ وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ دِينَارًا، وَلاَ دِرْهَمًا، وَلاَ شَاةً، وَلاَ بَعِيرًا، وَلاَ أَوْصَى بِشَيْءٍ»[(٣)].

❁ وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلاَّ شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ»[(٤)].

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٤٤١).

(٢) البخاري (٤٤٦١).

(٣) مسلم (١٦٣٥).

(٤) البخاري (٦٤٥١)، ومسلم (٢٩٧٣).

شَجَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ

الشجاعة: عدم الخوف مما يُخاف عادة، والإقدام على دفع ما يخاف منه بقوة وحزم. وهي خلق فاضل، ووصف كريم وقد كان نبينا محمد ﷺ أشجع الناس، ولا أدل على ذلك من تكليف الله له بالقتال وحده، قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨٤].

وهذا موقف يُظْهِر عِظَم شجاعته إذ سمع صوتًا عظيمًا فخاف أهل المدينة فكان ﷺ أول مَن أسرع قِبل الصوت، ثم رجع يُطمئن الناس، ويُذهب عنهم الخوف الذي أصابهم.

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا». قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا- أَوْ: إِنَّهُ لَبَحْرٌ-». قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ[1].

«عُرْيٍ»: لا سرج عليه.

«لَمْ تُرَاعُوا»: أي: روعًا مستقرًّا، أو روعًا يضركم.

«وَجَدْنَاهُ بَحْرًا»: أي: واسع الجري.

«يُبَطَّأُ»: معناه يعرف بالبطء والعجز وسوء السير.

---

(١) البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

قال النووي رحمه الله: «وفيه فوائد، منها: بيان شجاعته ﷺ من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال، ورجع قبل وصول الناس، وفيه: بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعًا بعد أن كان يبطأ وهو معنى قوله ﷺ: «وجدناه بحرًا». أي: واسع الجري، وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو مالم يتحقق الهلاك، وفيه: جواز العارية وجواز الغزو على الفرس المستعار لذلك، وفيه استحباب تَقَلُّد السيف في العنق واستحباب تبشير الناس بعدم الخوف إذا ذهب»[(١)].

❑ موقف آخر يبين شجاعته ﷺ حيث يفر الناس من العدو في الحرب يوم حنين ويتجه النبي نحو العدو ويعلي صوته معلنًا عن هويته قائلاً: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

❁ قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ:

أَنَـــا النَّبِـــيُّ لَا كَـــذِبْ أَنَـــا ابْـــنُ عَبْـــدِ الْمُطَّلِـــبْ[(٢)].

«هَوَازِنَ»: قبيلة كبيرة من العرب.

«رُمَاةً»: ماهرين في رماية النبل.

---

(١) «شرح مسلم» (١٥/ ٦٨).

(٢) البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

«آخِذٌ بِلِجَامِهَا»: يكفها عن الإسراع، واللجام: ما يوضع في فم الفرس للتمكن منها.

ويقصد بهذا القول إعلام أصحابه بوجوده ﷺ وثباته، وأنه لم يُصَبْ بسوء فتطمئن قلوبهم، ويتم جَمْعهم؛ فإن موت القائد مدعاة للاضطراب، وهو يعليها في وجه الأعداء، وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة العظيمة، والتوكل التام.

❁ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ مَا وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ، وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ، فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، اللهمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ». قَالَ الْبَرَاءُ: كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ. يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ(١).

«حُسَّرٌ»: من لا سلاح معهم، واحدها الحاسر.

«كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ»: يعني كأنها قطعة من جراد، قال في«النهاية»: الرجل بالكسر: الجراد الكثير.

«فَانْكَشَفُوا»: أي انهزموا وفارقوا مواضعهم، وكشفوها.

«إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ»: احمرار البأس كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر.

❑ نفى النبي ﷺ عن نفسه صفة الجبن، وما أُثر عنه أنه جَبُن في موقف قط:

❁ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ. مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ، عَلِقَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى

---

(١) مسلم (١٧٧٦).

اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا»(١).

«اضْطَرُّوهُ»: ألجئوه.

«سَمُرَة»: شجرة لها زهر أصفر.

«الْعِضَاهِ»: شجر عظيم الشوك.

❑ قوته ﷺ تشهد لشجاعته إذ حَوَّل قطعة صُلبة من الأرض بالمِعْول إلى فتات حتى صارت كالرمال:

❁ عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ. فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ، فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ(٢).

«كُدْيَةٌ»: قطعة صُلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول.

«مَعْصُوبٌ»: مربوط من شدة الجوع.

«كَثِيبًا»: تفتت حتى صارت كالرمل.

«أَهْيَلَ»: ينهال فيتساقط من جوانبه ويسيل من لِينه. «أَهْيَمَ»: بمعنى أهيل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله(٣): فصلٌ في شجاعتِه ﷺ: ذكَرْنا في «التفسيرِ» عن بعضِ السلفِ أنه استَنْبط مِن قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا

(١) البخاري (٢٨٢١).

(٢) البخاري (٤١٠١).

(٣) «شمائل الرسول» (٢٥٩، ٢٦٠).

نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النساء: ٨٤] أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كان مأمورًا أن لا يَفِرَّ مِن المشركينَ إذا واجَهوه ولو كان وحدَه، مِن قولِه: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾.

وَقد كَانَ ﷺ مِن أَشْجَع النَّاس وأصْبَر النَّاس وأجْلَدِهم، ما فرَّ قطُّ مِن مَصافٍّ ولو تولَّى عنه أصحابُه.

قال بعضُ الصحابةِ: كُنَّا إذا اشتدَّت الحربُ وحَمِيَ البأسِ، نَتَّقِي برسولِ الله ﷺ.

ففي يومِ بدرٍ رمَى ألفَ مُشْرِكٍ بقُبضةٍ مِن حصباءَ، فنالتْهم أجْمعِين حينَ قَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»(١).

وكذلك يومَ حنينٍ كما تقدَّم، وفرَّ أكثرُ أصحابِه في ثاني الحالِ يومَ أُحُدٍ، وهو ثابتٌ في مُقَامِه لم يَبْرَح منه، ولم يَبْقَ معه إلا اثْنَا عَشَرَ، قُتِل منهم سبعةٌ، وبَقِيَ الخمسةُ.

وفي هذا الوقتِ قَتَلَ أُبَيَّ بنَ خَلَفٍ، لعنه اللهُ، فعجَّلَه اللهُ إلى النارِ، ويومَ حنينٍ ولَّى الناسُ كلُّهم، وكانوا يومَئذٍ اثنَيْ عَشَرَ ألْفًا، وثبتَ هو في نحوِ مائةٍ مِن أصحابِه وهو راكبٌ يومَئذٍ بغلتَه، وهو يَرْكُضُ بها إلى نحوِ العدُوِّ، وَهُوَ يُنَوِّهُ باسمِهِ الكريمِ ويُعْلِنُ بذلك قائلًا:

أَنَـــا النَّبِـــيُّ لَا كَـــذِبْ أَنَـــا ابْـــنُ عَبْـــدِ المُطَّلِـــبْ(٢).

حتى جعَل العباسُ وعليٌّ وأبو سفيانَ بنُ الحارثِ يتعلَّقون في تِلك البغلةِ لِيُبْطِئُوا سيرَها؛ خوفًا عليه مِن أن يَصِلَ أحدٌ مِن الأعداءِ إليه، وما زال كذلك حتى نصرَه اللهُ وأيَّدَه في مُقامِه ذلك، وما تَرَاجَعَ النَّاسُ إلا والأُسارى مُكَبَّلَةً بينَ يديْهِ ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٧) من حديث سلمة بن عمرو بن الأكوع.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣٠)، ، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء، ﷺ.

قال ابن القيم رحمه الله: «فصل في هديه في الجهاد والمغازي والسرايا والبعوث: لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام، وقبته، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، كان رسول الله في الذروة العليا منه، واستولى على أنواعه كلها، فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان، والدعوة والبيان، والسيف والسنان، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده؛ ولهذا كان أرفع العالمين ذكرًا، وأعظمهم عند الله قدرًا، وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١، ٥٢]. فهذه سورة مكية أُمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان، وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الأمة، وورثة الرسل، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه، والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عددًا، فهم الأعظمون عند الله قدرًا»[(١)].

❑ بل كان من أوصاف رسول الله ﷺ الخِلْقِية ما يدل على شجاعته فكان في عين النبي حمرة في بياض، وكان هذا يدل على شجاعته:

❁ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنِ، مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ[(٢)].

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٥).

(٢) مسلم (٢٣٣٩).

«ضَلِيعَ الْفَمِ»: أي عظيمه. وقيل: واسعه، والعرب تمدح عِظَم الفم للرجال وتذم صغيره.

«أَشْكَلَ الْعَيْنِ»: الصحيح فيها: حمرة في بياض العين، قال ابن كثير في شمائله: «وذلك يدلُّ على القوة والشجاعة».

«مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ»: أي قليل لحم العقب.

obeikandl.com